إتحاف الأمة
بشرح صريح السنة

للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري
٢٢٤ـ ٣١٠هـ

شرحه وعلق عليه
محمد عبد اللطيف محمد الجمل

دار
الدعوة الإسلامية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إتحاف الأمة
بشرح صريح السنة

(الطبعة الأولى)

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

(رقم الإيداع)

٢٠٠٦/٥٠٣٩١

دار الدعوة الإسلامية

للطبع والنشر والتوزيع

المنصورة/٣ شارع الهادي (عزبة عقل) المتفرع من:

شارع عبد السلام عارف / ت / ٠١٠٥٣٧٠٠٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد :

فإنِّي قد اطلعت على شرح وتعليق أخينا في الله الشيخ / محمد الجمل ـــ حفظه الله ـــ فوجدته سديدًا رشيدًا ، وقد كانت لي بعض الملاحظات في منهج الشرح ومادته ، وقد تفضل مشكورًا بتعديل ما وافقني فيه .

وهذا الشرح مفيد لعدة أمور :

أولها : أنَّ رسالة صريح السُّنَّة ـ فيما أعلم ـ لم تشرح فكان شرحها سبقاً علمياً وُفِّق صاحبنا إليه .

وثانيها : أنَّ الشرح كان ماتعاً قصداً فليس بالمطول الممل ولا بالمجمل المخل بل كان كما وصفت وهذا أيضاً من توفيق الله تعالى وهدايته .

ثالثاً : أن الطبري ـ عليه رحمة الله ـ لم يكن بالمشهور عنه تصنيف في الاعتقاد فكانت هذه الرسالة مع رسالته « التبصير » راشدة إلى منهجه وعقيدته ، وهي عقيدة سلفية أثرية يدل على ذلك أنه ضَمَّن رسالته تلك خمسة عشر حديثاً مسنداً ، خلا ما نقله عن الصحابة والتابعين وأهل العلم .

وبالجملة : فهي رسالة نافعة إعتمادها على صريح السنة فعلاً ، فبارك الله في محشيها وقارئيها وكل من قام عليها .

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

وكتبه

د/ أحمد النقيب

« عفا الله عنه »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١]

أما بعد :

فإنَّ أحسن الكلام كلام الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وبعد :

فقد حوت هذه الرسالة تسع مقولات عَقَدِيَّةٍ عند أهل السنة والجماعة؛ تنازع فيها أهل السنة والجماعة مع أهل الأهواء والبدع: من الخوارج والجهمية والمرجئة والرافضة والمعتزلة وغيرهم .

وهي رسالة توضح بوضوح وجلاء :

١- صفاءَ عقيدة الطبري السلفية وسلامتها السُنّية وأسانيدها الأثرية العلية .

٢- عظيمَ ثنائه على الإمام أحمد وحبه له مما يزيل عنه شبهة الرفض التي اتهمه بها الحنابلة ظلمًا وزورًا كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة ومن أراد الوقوف على هذه الشبهة وقائلها وأسبابها والرد عليها فلينظر كتاب : «أصول الدين عند الإمام الطبري» من ص [٢٣ إلى ٤٨] تأليف أ/ محمد نجا رمضان .

٣- بدأ المصنف ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب العقدي بالتزكية والتربية ، وختمه أيضًا بالتزكية والتربية .

*****

عملي في الرسالة

١ـ ضبطت النص من خلال توثيق ما يذكر الطبري ـ رحمه الله ـ من نصوص ونقول .

٢ـ اجتهدت في خدمة النص لغوياً وحديثياً ؛ لغوياً ببيان المعاني المشكلة والألفاظ الغريبة ، وحديثيًا بتخريج الأحاديث والآثار والحكم عليها من صحةٍ وضعفٍ معتمداً على أحكام شيخنا الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره من أهل العلم .

٣ـ اعتمدت في هذا الضبط والخدمة على النسخة المطبوعة بدار ابن عفان ، واستفدت كثيراً بتحقيقات وتعليقات محققها الشيخ أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري ـ جزاه الله خيراً .

٤ـ هذا وقد التزمت نص كلام الطبري ـ عليه رحمة الله ـ الذي قمت بشرحه إلا في موطن واحد ـ وهو مسألة اللفظ بالقرآن فقد أخره الإمام ، ورأيت أن يأتي بعد مسألة الكلام للمناسبة بينهما ـ والله المستعان ـ .

٥ـ أما طريقتي في الشرح؛ فهو الوسط معتمداً في ذلك على أقوال أهل العلم كابن خزيمة وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن حجر ، وابن العثيمين والفوزان والمحمود وغيرهم رحمهم الله تعالى .

ولا أنسى أن أشكر فضيلة الدكتور/ أحمد النقيب على مراجعته لهذه الرسالة واعتنائه بها ، ولا أنسى أن أشكر أخي صاحب «**دار الدعوة بالمنصورة**» الذي شجعني على شرح هذه الرسالة ، وحرصه الشديد على نشر الكتب السُنّية السلفية .

هذا وإن كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه بريئان ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين .

وكتبه

محمد عبد اللطيف محمد الجمل

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ

الموافق ١٠/ ٤/ ٢٠٠٦م

ترجمة الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى

مولده ونسبه :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري الإمام صاحب التصانيف المشهورة .

ولد ابن جرير في أكبر مدن إقليم طبرستان ، مدينة آمُل التي زخرت بالعديد من العلماء في شتى الفنون .

وكانت ولادته في آخر سنة أربع أو سنة خمس وعشرين ومائتين ، قال تلميذه القاضي أبو بكر بن كامل :

« ... فقلت له ـ أي لابن جرير ـ كيف وقع لك الشك في ذلك ؟ فقال : لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث والسنين ، فأُرِّخَ مولدي بحدث كان في البلد فلما نشأتُ سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون لي ، فقال بعضهم : كان ذلك في آخر سنة أربع ، وقال آخرون : بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين » .

طلبه العلم ووفاته :

نَعِمَ ابن جرير بحسن التنشئة والصيانة منذ نعومة أظفاره ، وقد أشار هو إلى ذلك ، فقال : « رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ وكان معي مخلاة مملوءة حجارة ، وأنا أرمي بين يديه ، فقال المعبر : إنَّ ابنك إنْ كبُر ؛ نصح في دينه وذبَّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير » .

وقد تراءت على ابن جرير علائم النبوغ وهو بعدُ في غَضَارة الصبا ، ويظهر

ذلك في قوله : « حفظت القرآن ولي سبع سنين وصليت بالناس إمامًا وأنا ابن ثمان سنين وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين » .

وقال عن التفسير : « حدثتني به نفسي وأنا صبي » .

وكان أول ما كتب الحديث ببلده ، ثم بالري وما جاورها ... ثم رحل إلى بغداد ثم البصرة فالكوفة ... ثم إلى فسطاط مصر ، « وكان فيهما بقية من الشيوخ فأكثر عنهم الكِتْبَة .... ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر» .

وهكذا جَدَّ في التَّرحال ، ولقيا الشيوخ ، وجمع في رحلاته وطلبه « من العلوم ما لم يشاركه فيه غيره » .

حتى ألقى عصا التَّطواف .... واستقر به النوى في بغداد التي « استوطنها إلى حين وفاته » . عشِيَّةَ يومِ السبتِ ، ودفن في داره غَداةَ يوم الأحد لأربع بقين من شوال في سنة عشر وثلاثمائة .

شيوخه :

سمع من : محمد بن عبد الملك أبي الشوارب وإسماعيل بن موسى السدي ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، ومحمد بن أبي معشر حدثه بالمغازي عن أبيه ، ومحمد بن حميد الرازي ، وأحمد بن منيع وأبا كريب محمد بن العلاء وهناء بن السري وأبا همام السكوني ، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني ونصر بن علي الجهضمي وغيرهم .

تلاميذه :

حدث عنه :أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني وهو أكبر منه ، وأبو القاسم الطبراني وأحمد بن كامل القاضي وأبو بكر الشافعي وأبو أحمد بن عدي ، ومخلد بن جعفر الباقري والقاضي أبو محمد بن زبر وأحمد بن القاسم الخشاب وخلق كثير .

ثناء العلماء عليه :

ـ **قال الخطيب** : « محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ، ويُرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركُهُ فيه أحدٌ من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسُّنَنِ وطرقها ؛ صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصَّحابة والتابعين، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وله الكتابُ المشهور في « أخبار الأممُ وتاريخهم » وله كتاب « التفسير » لم يُصَنفَّ مثلُه ، وكتاب سمّاه « تهذيب الآثار » لم أرَ سواه في معناه لكن لم يُتمَّه ، وله في أصول الفقه وفروعه كتبٌ كثيرةٌ واختيارٌ من أقاويل الفقهاء وتفرَّدَ بمسائلَ حُفِظَتْ عنه .

قال الذهبي : « قلت » كان ثقةً صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف ، علَّامةً في التاريخ وأيّام النَّاسِ ، عارفاً بالقراءات وباللُّغةِ وغير ذلك .

قال ابن الجوزي : (وكان قد جمع من العلوم ما رأس به أهل عصره وكان حافظاً للقرآن بصيراً بالمعاني عالماً بالسنن فقيهاً في الأحكام عالماً بإختلاف العلماء خبيراً بأيام الناس وأخبارهم .....) .

قال السيوطي : (رأس المفسرين على الإطلاق ، أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظاً بكتاب الله بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عالماً بأحوال الصحابة والتابعين بصيراً بأيام الناس وأخبارهم) .

قال ابن خزيمة : (ما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير) .

قال أبو حامد الإسفراييني الفقيه : (لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيراً) .

صفته الخِلْقية :

(كان أسمر، أعين، مليح الوجه، مديد القامة، فصيح اللسان) .

ـ قال ابن الجوزي :

« وكان أسمر إلى الأدمة، أعين، ملتف الجسم، مديد القامة، فصيح اللسان»

من مؤلفاته :

١- التبصير في معالم الدين ، كتاب عقدي في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة .

٢- تاريخ الأمم والملوك .

٣- تهذيب الآثار .

٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) [1] .

*****

(١) انظر ترجمته: في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/ ٣١٧) (١٨/ ١٦٠، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٣٠٠، ٣٠١)، والعبر (١/ ١١٤)، والمنتظم لابن الجوزي (٦/ ١٧٠، ١٧١) (١٣/ ٣١٥، ٣١٧)، والبداية والنهاية لابن كثير (١١/ ١٤٥)، والأنساب للسمعاني (٤/ ٤٦)، ومعجم الأدباء لياقوت (١٨/ ٤٧، ٤٩، ٥٩، ٦٢)، وطبقات المفسرين للسيوطي (١/ ٨٢) وغيرهم .

مقدمة المصنف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أخبرنا الشيخُ أبو محمدٍ الحسنُ بنُ علي بنُ الحسينِ بنُ الحسنِ الأَسَديّ ، أنبأنا جَدِّي أبو القاسم الحسينُ بنُ الحسنِ بنُ محمدٍ الأسَديّ ، أنبأنا أبو القاسم عليُّ بنُ أبي العلاءِ ، أنبأنا أبو محمدٍ عبد الرحمنِ بنُ عثمانَ بنُ أبي نصرٍ ، أنبأنا أبو سعيدٍ عمرو بنُ محمد بنُ يحيى الدِّيْنَوريّ قال : قُرِئَ على أبي جعفر محمدٍ بن جريرٍ الطَبَريّ وأنا أسمعُ :

الحمد لله مُفْلِجِ الحقِّ ونَاصِرِه ، ومُدْحِضِ الباطلِ وما حِقِه ،الذي اختار الإسلام لنفسِهِ دينًا فَأمر به ، وحَاطَه ، وَتَوَكَّلَ بحفظِهِ وضَمِنَ إظْهَارَه على الدين كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ المشركون ، ثم اصطفى من خَلْقِهِ رُسُلاً ابْتَعَثَهُم بالدعاءِ إليه، وَأَمَرَهُم بالقيام به ، والصَّبْرِ على ما نَابَهُمْ فيه من جَهَلَة خَلْقِهِ ، وامْتَحَنَهُمْ من المِحَنِ بصنوفٍ ، وابتلاهُمْ من البَلاءِ بضُروبٍ ، تكْريمًا لَهُمْ غَيْرَ تَذْلِيلٍ ، وتَشْرِيفًا غَيْرَ تَخْسِيرٍ ، ورَفَعَ بَعْضَهُم فَوْقَ بَعْضٍ درجاتٍ ، فكان أرفعهُم عنده درجةً أَجدَّهم إمْضَاءً لأمره مع شدةِ المِحنِ ، وأَقربَهُم إليه زُلْفًا ؛ أَحْسَنَهُم إنْفَاذًا لما أَرْسَلَهُ به مع عظيم البَلِيَّةِ .

يقول الله عز وجل في مُحْكَم كتابه لِنبِّيه محمد ﷺ :

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥] .

وقال له ﷺ ، ولأتباعه ـ رضوان الله عليهم :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [الأحزاب:٩-١٢].

وقال تعالى ذكره: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣].

فلم يُخْلِ جَلَّ ثناؤه أحدًا من مُكْرِمي رُسلِهِ ومُقَرَّبي أَوْليَائِه، من مِحْنَةٍ في عاجلةٍ دونَ آجِلَةٍ، لِيَسْتَوْجِبَ بَصبْرِهِ عليها من ربهِ من الكرامةِ ما أعَدَّ له ومن المنزلة لدَيْهِ ما كتبَهُ له، ثم جعَلَ تعالى جَلَّ وعَلا ذِكْرُهُ عُلماءَ كلِّ أُمَّةِ نبيٍ ابتعَثَهُ منهم، وَرَّاثه من بعده، والقِوام بالدين بعد اخترامِهِ إليه، وقَبْضِهِ الذَابِّينَ عن عُراهُ وأسبابِهِ والحامين عن أعلامِهِ وشرائعِهِ، والناصحين دونَه لمن بَغَاه وحَادَّهُ والدافعين عنه كيدَ الشيطانِ وضلالهِ.

فَضَّلَهُم بشَرفِ العِلمِ وكَرَّمَهُمْ بوَقَارِ الحِلْمِ، وجَعَلَهم للدين وأهلِهِ أعلامًا، وللإسلامِ والهُدَى منارًا، وللخَلْقِ قادةً، وللعبادِ أئمَّةً وسادةً، إليهم مَفْزَعهم

عند الحاجة وبهم استغاثَتُهُم عند النَائِبَةِ لا يَثْنيهم عند التَعَطُّفِ والتَحنُّنِ عليهم سوءُ ما بهم من أنفسِهم يُولُون ، ولا تَصُدُّهُم عن الرِقَّةِ عليهم والرَأْفَةِ بهم قبحُ ما إليهم يأتون تحريًا منهم طلبُ جزيلِ ثوابِ الله فيهم وتوخيا طلب رضى الله في الأخذِ بالفضلِ عَليْهِم ، ثم جعل جل ثناؤه وذِكْرُهُ علماءَ أمةِ نبينا ﷺ من أفضل علماءِ الأمم التي خَلَتْ قبلَها فيما كان قَسَمَ لهم من المنازلِ والدرجاتِ والمراتبِ والكرامات ، قسمًا وأجزل لهم فيه حظًّا ونصيبًا مع ابتلاءِ الله أفاضِلها بمنافِقيها ، وامتحانِه خيارَها بشرارِها ، ورفعائَها بسفلها ووضعائِها ، فلم يكن يثنيهم ما كانوا به منهم يُبْتَلُونَ ولا كان يصدهم ما في الله منهم يَلْقَوْنَ ، عن النصيحة لله في عبادِهِ ، وبلادِهِ أيامَ حياتِهم، بل كانوا بِعِلْمِهِمْ على جَهْلِهِم يعودون ، وَبِحِلْمِهِمْ لسَفَهِهِم يتَعَمدُّون ، وبِفَضْلِهِمْ على نَقْصِهِمْ يأخذُون . بل كاد لا يرضي كثيرٌ منهم ما أَزْلَفَهُ لنفسه عند الله من فَضْلِ ذلك أيام حياته ، وادَّخرَ منه من كريم الذخائر لديه قبل مماته ، حتى تَبْقَى لمن بعده آثارًا على الأيام باقيةً وهم إلى الرشاد هاديةً ، جزاهم الله عن أمة نبيِّهم أفضلَ ما جزى عالمَ أُمَّةٍ عنهم ، وحَبَاهُم من الثواب أجْزَلَ ثوابٍ ، وجعلنا ممن قَسَمَ له من صالح ما قَسَمَ لهم وألحقَنَا بمنازلِهم ، وكَرَّمَنَا بِحُبِّهِم ومعرفةِ حقوقِهم وأعاذَنَا والمسلمين جميعًا من مُرْدِيَاتِ الأهواءِ ومُضِلاّتِ الآراءِ إنه سميع الدعاء .

ثم إنه لم يزل مِنْ بعد مُضِيِّ رسولِ الله ﷺ لسبيله حوادثُ في كلِّ دهرٍ تَحْدُثُ، ونوازلُ في كل عصرٍ تنزلُ ، يفزعُ فيها الجاهلُ إلى العالم فيكشفُ فيها العالمُ سُدَفَ [1] الظلام عن الجاهلِ بالعِلْمِ الذي آتاهُ الله وفَضَّلَه به على غَيْرِهِ، إما مِنْ أَثَرٍ وإما من نَظَرٍ .

---

(١) وهي من الأضداد تقع على الضياء والظلمة ومنهم من يجعلها اختلاط الضَّوء والظلمة معًا كوقت ما بين طلوع الفجر والإسفار والمراد به هنا الظلمة . انظر : النهاية في غريب الأثر (٢/ ٣٥٤) .

فكان من قديم الحادثَةِ بعد رسول الله ﷺ من الحوادث التي تَنَازعَتْ فيه أُمَّتُهُ واختلافها في أفضلِهِمْ بعده ﷺ وأَحَقِّهِم بالإمامةِ وأولاهُم بالخِلافةِ .

ثُمَّ القولُ في أعمالِ العبادِ : طاعتِها ومعَاصيها وهل هيَ بقضاءِ الله وقَدَرِهِ ، أم الأمرُ في ذلك إليهِ مُفَوَّضٌ ؟!! .

ثم القول في الإيمان هل هو قولٌ وعملٌ ؟ أم هو قولٌ بغير عملٍ ؟ وهل يزيدُ وينقصُ ؟

أم لا زيادة له ولا نقصان ؟

ثم القول في القرآن هل هو مخلوقٌ ، أو غيرُ مخلوقٍ ؟

ثم رؤية المؤمنين ربهم تعالى يوم القيامة .

ثم القول في ألفاظِهم بالقرآنِ .

ثم حَدَثَ في دَهْرِنَا هذا حماقاتٌ ، خاض فيها أهل الجهلِ والغباءِ ونُوكى[1] الأمِة والرِّعَاعْ[2] يُتْعِبُ إحصاؤُها وَيُمِلُ ويكثر تَعْدَادُها !!

فيها القولُ في اسم الشيءِ : أهو هو ، أم هو غَيرُه ؟

ونحن نُبَيِّنُ الصواب لَدَيْنَا من القولِ في ذلك كله إن شاءَ اللهُ تعالى ، وبالله التوفيق .

---

(١) النوكى : الأحمق وجمعه النُّوكي ، انظر لسان العرب (١٠/ ٥٠١) ومعناها هاهنا : حمق الأمة الأحداث السقط السفلة .

(٢) الرِّعَاعُ : بالفتح السَّفَلَةُ مِنَ النَّاسِ الْوَاحِدُ رعاعَةٌ وَيُقَالُ هُمْ أَخْلاطُ النَّاسِ . انظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٣٠) ط المكتبة العلمية بيروت .

التعليق :

تحدث المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المقدمة عن البلاء فقال :

« فلم يخل جل ثناؤه أحدًا من مكرمي رسله ، ومقربي أوليائه من محنة في عاجلة دون آجلة ، ليستوجب بصبره عليها من ربه من الكرامة ما أعَدَّ له ، ومن المنزلة لديه ما كتبه له » .اهـ .

فعن سعد بن أبي وقاص قال : قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء ؟ قال :

« الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » (١) .

وفي رواية :

« أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة التي يحويها وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء » (٢) .

قال النووي ـ رحمه الله :

«قال العلماء : والحكمة في كون الأنبياء أشد بلاء ، ثم الأمثل فالأمثل أنهم مخصوصون بكمال الصبر وصحة الاحتساب ، ومعرفة أن ذلك نعمة من الله

---

(١) **صحيح**:رواه الترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وابن حبان (٦٩٩)،والحاكم (١/ ٤٠،٤١) ، وأحمد (١/ ١٨٥،١٨٠،١٧٤،١٧٢) ، والضياء في المختارة (١/ ٣٤٩)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (١٤٣) .

(٢) **صحيح** : رواه ابن ماجه (٤٠٢٤) ، وابن سعد (٢/ ٢٠٨) ، والحاكم (٤/ ٣٠٧) ، وصححه الألباني (الصحيحة) (١٤٤) .

تعالى ليتم لهم الخير ويضاعف لهم الأجر ويظهر صبرهم ورضاهم »[(١)].

وقال الألباني ـ رحمه الله تعالى :

« وهذه الأحاديث دلالة صريحة على أن المؤمن كلما كان أقوى إيمانًا ازداد ابتلاء وامتحانًا والعكس بالعكس ، ففيها رد على ضعفاء العقول والأحلام الذين يظنون أن المؤمن إذا أصيب ببلاء ، كالحبس أو الطرد أو الإقالة من الوظيفة ونحوها أن ذلك دليل عن أن المؤمن غير مرضي عند الله تعالى ، وهو ظن باطل فهذا رسول الله ﷺ وهو أفضل البشر كان أشد الناس ، حتى الأنبياء بلاء ، فالبلاء غالبًا دليل خير وليس نذير شر »[(٢)].

والصبر هو : ثابت باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى والشهوى[(٣)].

والصبر على ثلاث أنواع :

ـ النوع الأول : صبر على طاعة الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ [مريم:٦٥] .

ويتكون من ثلاث شعب :

الأولى : صبر قبل الطاعة بتصحيح النية والإخلاص والتبرؤ من شوائب الرياء .

الثانية : الصبر على حال الطاعة بحيث يأتي بها على أكمل وجه مشروع متبعًا

(١) مسلم بشرح النووي (٧/ ٢٦٢) ، ط ـ دار الغد .

(٢) الصحيحة (١/ ٢٢٧) .

(٣) عدة الصابرين (ص:١٨) .

لرسول الله ﷺ .

الثالثة : الصبر بعد العمل فلا ينظر لنفسه بعين العجب فيتظاهر بها قدَّم سمعةً ورياء لئلا يحبط عمله.

ـ **النوع الثاني** : صبر عن محارم الله .

قال الهروي : «وهو على ثلاث درجات ، الدرجة الأولى : الصبر عن المعصية بمطالعة الوعيد إبقاء على الإيمان ، وحذراً من الحرام وأحسن منها : الصبر عن المعصية حياء» . اهـ .

قال ابن القيم معلقاً على كلام الهروي : «ذكر للصبر عن المعصية سببين وفائدتين:

أما السببان : فالخوف من لحوق الوعيد المترتب عليها .

والثاني : الحياء من الرب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمه وأن يبارز بالعظائم .

وأما الفائدتين :

فالإبقاء على الإيمان والحذر من الحرام فأما «مطالعة الوعيد» والخوف منه :

فيبعث عليه قوة الإيمان بالخبر والتصديق بمضمونه .

وأما « الحياء » فيبعث عليه قوة المعرفة ومشاهدة معاني الأسماء والصفات .

وأحسن من ذلك : أن يكون الباعث عليه وازع الحب فيترك معصيته محبة ه كحال الصُّهَيبِيِّينَ .

وأما الفائدتان :

فالإبقاء على الإيمان : يبعث على ترك المعصية لأنها لابد أن تنقصه ، أو تذهب به أو تذهب رونقه وبهجته أو تطفئ نوره أو تضعف قوته أو تنقص ثمرته ، هذا أمر ضروري بين المعصية وبين الإيمان يُعلم بالوجود والخبر والعقل كما صح عنه ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ....** » وذكر الحديث [(١)] .

وأما (الحذر عن الحرام) : فهو الصبر عن كثير من المباح حذراً من أن يسوقه إلى الحرام) . اهـ [(٢)] .

فائدة :

قال ابن تيمية :

« الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل فإنَّ مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية ، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية » [(٣)] .

النوع الثالث : صبر على البلاء أو على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطه .

والبلاء ينقسم إلى قسمين :

الأول : الابتلاء بالشر وهو مناط الصبر .

الثاني: الابتلاء بالخير وهو مناط الشكر .

---

(١) رواه البخاري (٥٥٧٨) ، ومسلم (١٠٠) .

(٢)مدارج السالكين (١/ ٥٦٢) .

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥٥٦) .

وفيما يتعلق بالنوع الأول ، فإنه يشمل الابتلاء بالمحن والكوارث ونقص الأموال والأنفس والثمرات مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ [البقرة:١٥٥] .

وهنا يكون الصبر والرضا هما المقياس الحقيقي للإيمان الصادق .

قال ابن القيم :

« الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام : صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها ، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها » وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في «فتوح الغيب » : «لا بد للعبد من أمر يفعله ، ونهي يجتنبه ، وقدر يصبر عليه» .أ هـ (١) .

وقال الفيروز آبادي :

« الصبر على ثلاثة أنواع : ١ـ صبر بالله ٢ـ صبر مع الله ٣ـ صبر لله » (٢) .

قال ابن القيم :

وهي على ثلاثة أنواع : صبر بالله ، وصبر لله وصبر مع الله .

ـ فالأول : الاستعانة به ورؤيته أنه هو المُصَبِّر؛ وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧] يعني : إن لم يُصَبِّرك هو لم تصبر .

ـ والثاني : الصبر لله؛ وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله وإرادة

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٣١ ط التوفيقية .

(٢) البصائر (٣/ ٣٧٦) .

وجهه والتقرب إليه لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأعراض .

ـ والثالث: الصبر مع الله؛ وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية صابرًا نفسه معها سائرًا بسيرها مقيًما بإقامتها يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل منها أين استقلت مضاربها ، فهذا معنى كونه صابرًا مع الله أي قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابه وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها وهو صبر الصديقين .

قال الجنيد :

« المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب الله شديد ، والمسير من النفس إلى الله صعب شديد ، والصبر مع الله أشد » أ هـ [1].

فائدة :

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ سأل رجل الشافعي ـ رحمه الله ـ فقال : يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يُمَكّن «فيشكر الله عز وجل» أو يبتلى «بالشر فيصبر» ؟ فقال الشافعي :

لا يُمَكَّنُ حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم ومحمدًا ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحدٌ أن يَخْلُصَ من الألم البتة » [2].

قال ابن القيم ـ رحمه الله :

« ومن رحمته أن نَغَّصَ عليهم الدنيا وكَدَّرَها ، لئلا يسكنوا إليها ولا

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٥٦) ط المكتب الثقافي .

(٢) الفوائد ص (٢٨٣) بتصرف يسير .

يطمئنوا إليها ، ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعافيهم وأماتهم ليحييهم » (١) .

ثم تحدث المصنف ـ رحمه الله ـ عن فضل العلماء فقال : « **فضلهم بشرف العلم وكرمهم بوقار الحلم وجعلهم للدين وأهله أعلامًا ..** » .

قلت : ومن الأحاديث الواردة في فضل العلم وأهله :

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

« **من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، ورَّثُوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر** » (٢) .

عن أبي كبشة الأنماري قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله حقًا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أنَّ لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ...** » الحديث (٣) .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٥) ط دار المعرفة .

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٦٤١) ، وابن ماجه (٢٢٣) ، وابن حبان (٨٨) ، والبغوي في شرح السنة (١٢٩) ، والبيهقي في الآداب (١١٨٨) ، والبزار (١٣٦ كشف الأستار) ، وصححه الألباني في (ص د) (٣٦٤١) .

(٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) ، وابن ماجه (٤٢٢٨) ، وصححه الألباني .

قال بعض العلماء :

«من شرف العلم وفضله أن كل من نُسِبَ إليه فرح بذلك وإن لم يكن من أهله وكل من دُفِعَ عنه ونُسِبَ إلى الجهل عَزَّ عليه ونال ذلك من نفسه وإن كان جاهلاً » [١].

وقال الإمام أحمد :

« الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب ؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا والعلم يحتاج إليه في كل وقت » [٢].

وقال ابن الجوزي :

« لا يَخْفَى فضل العلم بِبَديهة العقل ، لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إلى معرفة الخالق ، وسببِ الخلُودِ في النَّعيمِ الدَّائِمِ ، ولا يُعْرَفُ التقرب إلى المعبود إلا به ، فهو سبب لمصالح الدارين والله أعلم » [٣].

قال السفاريني :

يُرَادُ للْعَلمِ عَشَرَةُ أشْيَاء : « الخشية ، والنَّصِيحَةُ ، والشَّفَقَةُ، والاحْتِمَالُ والصَّبْرُ، والحِلْمُ، والتَّوَاضُعَ ، والفِقهُ عن أموالِ الناس ، والدَّوامُ على النظر في الكتب وترك الْحِجَابِ ، بل يكونَ بَابُهُ للشريف والْوَضِيعِ .

ولذا قيل : إذا منع العلمُ عن العامة لم تنتفع به الخاصَّة » . اهـ [٤].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٢٥١) (٢٩٥) .

(٢) إعلام الموقعين (٢/ ٢٥٦) .

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني (٢/ ٤٠٦) ط دار الكتب العلمية .

(٤) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٦) .

وقال : « واعلم أنَّ لزكاة العلم ونحوه طريقتين :

أحدهما : تعلمه، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُنَمِّى علمه بذلك ويُزَكِّيه .

والثاني : العملُ به، فإنَّ العمل به أيضاً يُنَمِّيه ويُكثِّره ويُفَتِّح لصاحبه أبْوَابَهُ وخَبَايَاهُ » .(١)

وقال : واعلم أنَّ للتعلم ست مراتب :

[**أولها** : حُسْنُ السؤال ، **ثانيها** : حُسْنُ الإنصات والاستماع ، **ثالثها** : حُسْنُ الفهم ، **رابعها**: الحفظ ، **خامسها** : التعليم ، **سادسها** -وهي الثمرة : العمل به ومُرَاعَاةُ حدوده](٢).

وحرمان العلم بستة :

[**أحدها** : ترك السؤال ، **الثاني**: سُوءُ الإنْصَاتِ وعدم إلقاء السمع ، **الثالث**: سوء الفهم ، **الرابع** : عدم الحفظ ، **الخامس** : عدم نشره وتعليمه ، فمن خَزَّنَ علمه ولم ينشره ابتلاه الله بنسيانه جزاءً وفاقاً ، **السادس** : عدم العمل به ، فإنَّ العمل به يوجب تَذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه.

قال بعض السلف : كنا نَسْتَعِينُ على حفظ العلم بالعمل به .

وقال بعضهم : العلم يَهْتِفُ بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل فما اسْتَدَّر العلم واسْتُجْلِبَ بمثل العمل به .

*****

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٧ ، ٣٨) .

(٣) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٢ ، ٣٣) .

١ـ القول في القرآن وأنه كلام الله

قال المصنف:

« فأولُ ما نبدأُ بالقولِ فيه من ذلك عندنا ، القرآنُ كلامُ اللهِ ، وتَنْزيلُه ، إذ كان من معاني توحيدِه ، فالصواب من القول في ذلك عندنا :

أنه كلامُ الله ، غيرُ مخلوقٍ ، كيف كُتِبَ ، وحَيْثُ تُلِيَ ، وفي أيِّ مَوْضعٍ قُرِئَ ، في السماءِ وُجِدَ ، وفي الأرضِ حفظ ، في اللوح المحفوظِ كان مكتوبًا ، وفي ألواح صِبيانِ الكتاتيب مرسومًا ، في حَجرٍ نُقِشَ ، أو في وَرَقٍ خُطَّ ، أو في القلبِ حُفِظَ أوبلِسَانٍ لُفِظَ ، فمن قال غيرَ ذلك أو ادَّعى أنَّ قُرآنًا في الأرض أو السماءِ سِوَى القرآنِ الذي نتلُوه بألسِنتِنَا ، ونكتُبُه في مصاحِفِنَا ، أو اعتَقَدَ ذلك بقلبِهِ أو أَضْمَرَهُ في نَفْسِهِ و قاله بلسانِه ، دائنًا به ، فهو بالله كافر ، حلالُ الدمِ والمال ، بريءٌ من الله ، واللهُ منه بريءٌ بقولِ اللهِ عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج:٢١، ٢٢] .

وقال وقوله الحق عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] .

فأخبر جل ثناؤه أنه في اللوحِ المحفوظِ مكتوبٌ ، وأنه من لسانِ محمدٍ ﷺ مسموعٌ وهو قرآنٌ واحدٌ ، من محمدٍ مسموعٌ وفي اللوح المحفوظِ مكتوبٌ ، وكذلك هو في الصدورِ محفوظٌ وبألْسُنِ الشيوخِ والشبانِ مَتْلُوٌّ » .

قال أبو جعفر :

« فَمَنْ رَوَىَ عَنَّا ، أو حكى عَنَّا ، أو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ، فادَّعى أَنَّا قُلْنا غير ذلك ،

فَعَلَيْه لعنةُ الله ، وغَضَبُهُ ولَعْنَةُ اللاعنينَ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ لا قَبِلَ اللهُ لـه صَرْفًا ولا عَدْلًا ، وهَتَكَ سِتْرَهُ ، وفَضَحَهُ على رؤوسِ الأشْهادِ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر:٥٢] ».

التعليق :

مذهب أهل السنة والجماعة : أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء ، كيف شاء ، بما شاء ، بحرفٍ وصوتٍ يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، لا يماثل أصوات المخلوقين؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

فالقول في القرآن جزء من القول في كلام الله على العموم لكن لما وقعت المحنة ، وصار محك النزاع بين المعتزلة وأهل السنة صار العلماء يفردون القول في القرآن بكلام خاص .

فالقرآن كلام الله حقيقة ، غير مخلوق كما قال المصنف ـ رحمه الله تعالى .

لأن القول بخلق القرآن يقتضي أنَّ صفة الكلام لله تعالى مخلوقة ، ويلزمه أنَّ الذات العلية مخلوقة ، وأيضًا من نفى هذه الصفة أصلاً عن الله وجحد أن يكون الله تعالى متكلمًا كان كافرًا ؛ لأنه وصف ربه بالنقص وأنَّه لا يتكلم ، والذي لا يتكلم يكون ناقصًا ولا يكون إلهًا .

ولهذا لما قال السامري : ﴿ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه:٨٨] يعنون العجل أو التمثال قال الله جل وعلا : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩] فقال : ﴿ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ [طه:٨٩] أي لا يتكلم فدل على بطلان عبادتهم له .

وفي الآية الأخرى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ [الأعراف:١٤٨].

والكلام صفة كمال ، وعدم الكلام صفة نقص، فالله سبحانه وتعالى مُنَزَّه عن صفات النقص ومتصف بصفات الكمال .

*****

والأدلة من القرآن على أن القرآن كلام الله

١- قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] .

قوله : « كلام الله » أضاف الكلام إلى نفسه فقال : « كلام الله » فدل هذا على أن القرآن كلام الله وهو كذلك .

٢- قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

فجعل الخلق شيئًا والأمر شيئًا آخر ؛ لأن العطف يقتضي المغايرة والقرآن من الأمر ، بدليل قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢] .

فإذا كان القرآن أمراً وهو قسم للخلق ، صار غير مخلوق ؛ لأنه لو كان مخلوقًا ما صح التقسيم وهذا دليل سمعي [1] .

٣- وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾ [البقرة:٧٥] .

٤- وقال تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر:٢٨] قال ابن عباس : غير مخلوق [2] .

---

(١) انظر شرح الواسطية لابن العثيمين ص ٣٦٣ وما بعدها ، وانظر التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص (١٣٨) .

(٢) **محتمل التحسين** : رواه الآجري (١٧٢) ، واللالكائي (٣٥٥) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٨) بسند فيه ضعف فيه أبو صالح وهو عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف وعلة أخرى=

٥- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة:٦٧].

الأدلة من السنة على أن القرآن كلام الله

١- عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموسم فيقول:

« **ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي** »(١).

قال: محمد العظيم أبادي: قال في « فتح الودود »: أي أنه كلام الله لا أنه كلام خَلَقَهُ الله تعالى في بعض الأجسام.

واستدل على ذلك بالأحاديث التي وقع فيها إضافة الكلام إلى الله تعالى أو التكلم أو الكلمات.

«ألا» بلا النهي(*) مع همزة الاستفهام «يحملني إلى قومه» أي يذهب بي إلى قومه «كلام ربي» ولنعم ما قيل: وما القرآن مخلوقًا؛ تعالى كلام الرب من جنس المقال».اهـ(٢).

٢- عن ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: « **اقرأ عَلَيَّ القرآن** » قلت: أَقْرَأُ

= الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، ولكن رواه اللالكائي من طريق أخرى لا بأس بها عن مكحول عن ابن عباس مثله وهي منقطعة بين مكحول وابن عباس ولولا الانقطاع في نفس الطبقة لكان حسنا.

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٦)، وابن ماجه (٢٠١)، وصححه الألباني «الصحيحة» (١٩٤٧).

(*) (ألا) أداة استفتاح وتنبيه وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من «الهمزة» و «لا» والهمزة بلا استفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو: ﴿ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ [القيامة:٤٠] راجع في ذلك لابن هشام الأنصاري عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٦٨) المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م أفاده د/ أحمد النقيب.

(٢) عون المعبود ص [٢٠٥٦] ط دار الأفكار الدولية.

عليك وعليك أُنْزِلَ ؟ قال : « **إني أحب أن أسمعه من غيري** »[١] .

٣- عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلاً بُهْماً** » قلت : ما بُهْماً ؟ قال : « **ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بَعُدَ** ـ أحسبه قال : كما يسمعه من قَرُبَ ـ **لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة** » قلت : وكيف ؟ وإنما نأتي الله عراة بُهمًا ؟ قال : « **بالحسنات والسيئات** »[٢] .

قال البخاري : « في هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق ؛ لأن صوت الله جلَّ ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته فإن تنادى الملائكة لم يصعقوا » . اهـ[٣] .

*****

(١) رواه البخاري (٥٠٤٩) مسلم (٨٠٠) .

(٢) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٧٠) ، وفي خلق أفعال العباد (٨٩- ٤٦٣) ، وجزم به تعليقًا في صحيحه ، وأحمد (٣/ ٤٩٥) ، والحاكم (٤/ ٥٧٤) ، وحسنه الألباني في الأدب المفرد (٩٧٠) .

(٣) خلق أفعال العباد ص ١٣٧ ط مكتبة التراث الإسلامي .

من الآثار الواردة في أنَّ القرآن كلام الله

١- قالت عائشة ـ رضي الله عنها : « من زعم أن محمدًا كتم شيئًا من الوحي فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة:٦٧] »(١) .

خرج أبو بكر يصيح يقول : « كلام ربي ، كلام ربي »(٢) .

٢- قال ابن مسعود : « ما خلق الله من أرض ولا سماء ولا جنة ولا نار أعظم من : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢] » .

٣- قال خباب بن الأرت : « تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه »(٣) .

٤- قال نيار بن مكرم الأسلمي: لما نزلت : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [الروم:١، ٢]

قال سفيان بن عيينة تفسيره : « إن كل شيء مخلوق والقرآن ليس بمخلوق ، فكلامه أعظم من خلقه لأنه إنما يقول لشيء كن فيكون فلا يكون شيء أعظم مما يكون به الخلق والقرآن كلام الله »(٤) .

---

(١) رواه مسلم (١٧٧) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٣٩١) .

(٢) **صحيح** : رواه الترمذي (٣١٩٤) ، والبخاري في خلق أفعال العباد (٩٢) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٣٧) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٠) وقال : وهذا إسناد صحيح ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٥٢) .

(٣) **صحيح** : رواه البخاري في خلق أفعال العباد(٩١) ، والآجري(١٦٩) ، وواللالكائي (٥٥٨) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (١١١) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥١٣، ٥١٤) .

(٤) **سنده صحيح** : رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٠٢٣٩) ، وسعيد بن منصور في تفسيره (٤٢٦) ، والطبراني (٩ / ١٤٢، ١٤٣) ، والترمذي بنحوه (٢٨٨٤) .

٥- قال ابن عمر : « القرآن كلام ربي » (١).

٦- قال مالك بن أنس : « القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق » (٢).

٧- عن أبي زكريا يحيي بن يوسف الزمّي قال : « كنا عند عبد الله بن إدريس فجاء رجل فقال : يا أبا محمد ، ما تقول في قوم يقولون : القرآن مخلوق ؟ فقال : أمن اليهود ؟ قال: لا ، قال : فمن النصارى ؟ قال: لا ، قال : فمن المجوس ؟ قال : لا ، قال : فممن ؟ قال : من أهل التوحيد ؟ قال : نعم .

قال : ليس هؤلاء من أهل التوحيد ، هؤلاء الزنادقة، من زعم أنَّ القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق يقول الله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فالله لا يكون مخلوقًا والرحمن لا يكون مخلوقًا والرحيم لا يكون مخلوقًا وهذا أصل الزندقة ، من قال هذا فعليه لعنة الله، ولا تجالسوهم ولا تناكحوهم » (٣).

٨- قال يحيي بن سعد : « ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة ».

قال البخاري : « حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المبين ، المثبت في المصحف ، المسطور المكتوب الموعى في القلوب ، فهو كلام الله ، ليس بخلق ، قال الله : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٩] » (٤).

---

(١) **حسن بشواهده**: رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٢٣،٥٢١) .

(٢) **صحيح**: رواه الآجري (١٧٨) ، واللالكائي (٤١٤) .

(٣) **إسناده صحيح**: رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٥) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٩)، والآجري (١٧٣) ، واللالكائي (٤٣٢،٥٣١) ، وابن بطة في الإبانة (٢٧٣) .

(٤) **إسناده صحيح**: رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٢٥، ١٢٦) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٧٠) ، والخطيب في تاريخه (٢/ ٣١) .

وأختم بهذه المناظرة الرائعة :

« وبمثل ذلك ألزم الإمام عبد العزيز المكي[(١)] بشرًا المريسي بين يدي المأمون بعد أن تكلم معه ملتزمًا أن لا يخرج عن نص التنزيل ، وألزمه الحجة فقال بشر : يا أمير المؤمنين ، ليدع مطالبتي بنص التنزيل ، ويناظرني بغيره فإن لم يدع قوله ويرجع عنه ويُقرّ بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال .

قال عبد العزيز : تسألني أم أسألك ؟ فقال بشر : اسأل أنت وطمع فِيَّ فقلت له : يلزمك واحدة من ثلاث لابد منها : إما أن تقول : إن الله خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خَلَقه قائمًا بذاته ونفسه، أو خلقه في غيره ؟

قال : أقول : خلقه كما خلق الأشياء كلها ، وحاد عن الجواب .

فقال المأمون : اشرح أنت هذه المسألة ودع بشرًا فقد انقطع .

فقال عبد العزيز : إن قال : خلق كلامه في نفسه فهذا محال ؛ لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة ، ولا يكون منه شيء مخلوقًا ، وإن قال : خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه ، وإن قال : خلقه قائمًا بنفسه وذاته فهذا محال ، ولا يكون الكلام إلا من متكلم ، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ، ولا العلم إلا من عالم ، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته ، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقًا ، علم أنه صفة لله .

هذا مختصر من كلام الإمام عبد العزيز في « الحيدة » . اهـ[(٢)] .

---

(١) عبد العزيز المكي : هو عبد العزيز بن يحيي الكناني ، أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي، قدم بغداد أيام المأمون ، وجرى بينه وبين بشر المريسي مناظرة في خلق القرآن بحضرة الخليفة المأمون ، وصنف كتاب الحيدة أثبت فيه نص مناظرته لبشر .

ومات عبد العزيز الكناني سنة ٢٤٠ هـ رحمه الله تعالى .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٤، ١٤٥) ، وانظر: الحيدة ص ٦١ ، ٦٢ ط المدينة المنورة .

ورواه ابن بطة في الإبانة (٢٤٤٠) مطولاً .

١ـ القول في خلق القرآن

١ - حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا موسى بن داود ، حدثنا معبد أبو عبد الرحمن ، عن معاوية بن عمَّار الدُهْني ، قال : قلت لجعفر بن محمد - رضي الله عنه : إنهم يسألون عن القرآن مخلوق أو خالق ؟

فقال : « إنه ليسَ بِخَالِقٍ ، ولا مَخْلُوقٍ ، ولكِنَّهُ كلامُ الله عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

٢ - وحدثني محمد بن منصور الأمُلِيُّ ، حدثنا الحكم بن محمد الأمُلِيُّ أبو مروان، حدثنا ابن عيينة قال : سمعت عمرو بن دينار يقول : أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون :

« القُرْآنُ كلامُ الله ، مِنْهُ بَدَأ ، وَإلَيْهِ يَعُودُ »(٢) .

التعليق :

قال الشيخ ابن العثيمين في شرح الواسطية ص (٣٦٤،٣٦٥) : «وقولهم : منه بدأ: أي هو الذي ابتدأ به ، وتكلم به أولاً . والقرآن أضيف إلى الله وإلى جبريل وإلى محمد ﷺ .

مثال الأول : قول الله عز وجل : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] . فيكون منه بدأ ، أي من الله جل جلاله ، ومنه حرف جر وضمير قدم على

---

(١) صحيح : رواه البخاري في خلق أفعال العباد (١٠٩) ، والآجري في الشريعة (١٧١،١٧٠)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٣٢ ، ١٣٤) ، والدارمي في الرد على الجهمية (٢٤٥) ، واللالكائي (٣٩٩) ، وأبو داود في المسائل (١٠٩) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٥) وفي الاعتقاد (٢٦٨) وفي سننه (١٠/ ٢٠٦) ، والخطيب البغدادي في تاريخه (١٣/ ٢٤٦) و الفسوي في المعرفة والتاريخ (٣/ ٤٩٥) .

(٢) صحيح: رواه الخلال في السنة (٦/ ٢٦) أثر (١٨٦) بلفظ : «فإنه كلام الله منه خرج وإليه يعود » ورواه ابن بطة في الإبانة (١٨٣) ، واللالكائي (٣٨١) .

عامله لفائدة الحصر والاختصاص . ومثال الثاني : إضافته إلى جبريل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠]

ومثال الثالث : إضافته إلى محمد ﷺ قوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، لكن أضيف إليهما لأنهما يبلغانه ، لا لأنهما ابتدآه].

وقولهم : « وإليه يعود » في معناه وجهان :

الأول : أنه كما جاء في بعض الآثر : يسري عليه في ليلة ، فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن لا في صدورهم ولا في مصاحفهم يرفعه الله عز وجل إلى أن قال : **الوجه الثاني** : في معنى قولهم : «وإليه يعود» أنه يعود إلى الله وصفًا أي : أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله عز وجل وهو الموصوف به .

ولا مانع من أن نقول : « إن المعنيين كلاهما صحيح » . اهـ .

قلت : من الأحاديث التي وردت في ذلك :

عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

« يَدْرُس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدري ما صيام ولا نُسك ولا صدقة وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها .. الحديث » (١).

---

(١) **صحيح**: رواه بن ماجه (٤٠٤٩) الحاكم (٤/ ٤٧٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وقال الألباني وهو كما قالا «الصحيحة» (٨٧).

ومن الآثار :

وقال ابن مسعود : «استكثروا من قراءة القرآن قبل أن يُرفع ، فقيل له كيف يرفع وقد حفظناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا ؟ فقال : يسرى عليه فيذهب حفظه من الصدور ورسمه من المصاحف» [١].

عن أبي بكر الأعين قال : سئل أحمد بن حنبل عن تفسير قوله : « القرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود ؟» .

فقال أحمد : « منه خرج هو المتكلم به وإليه يعود » [٢].

*****

(١) **سنده صحيح**: رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٣٦٨) ، والطبراني (٩/ ١٥٣) ، وعبد الرزاق في الصنف (٣/ ٣٦٢، ٣٦٣) وغيرهم .

وقال الهيثمي في المجمع : « رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شادد بن معقل وهو ثقة » .

وقال الحافظ في الفتح (١٦/ ١٣) : « إسناده صحيح» .

(٢) **إسناده حسن**: رواه الخلال (٦/ ٢٦) رقم (١٨٥٩) .

٢ـ القول في ألفاظ العِبَادِ بالقرآن

وأما القولُ في ألفاظِ العِبَادِ بالقُرآنِ : فلا أثَرَ فيه نَعْلَمُهُ عن صحابيٍّ مَضَى ، ولا تَابِعِيٍّ قَفَى ، إلا عَمَّن في قولِهِ الغَنَا والشِفَا رحمةُ الله عليهِ ورِضْوَانُه وفي اتِّبَاعِهِ الرُشْدَ والهُدى ، ومَنْ يقومُ قولُه لدَيْنَا مَقَام قول الأَئِمَّةِ الأُولى أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه .

فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال : سمعت أبا عبد الله أحمدَ بن حنبلٍ يقُولُ : « اللفظيةُ جَهْمِيةٌ ، لقولِ الله جلَّ اسْمُهُ ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] . فَمِمَّنْ يَسْمَعُ ؟ »(١) .

ثم سمعتُ جماعةً مِنْ أصْحَابِنا لا أَحْفَظُ أسماءَهُم يذكرون عنْهُ أنه كان يقول : « مَنْ قالَ لَفْظِي بالقرآنِ مخلوقٌ فهو جَهْمِيٌّ ومَنْ قالَ هو غيرُ مخلوقٍ فهو مُبْتَدِعٌ »(٢) .

ولا قَوْل في ذلكَ عندَنَا يجُوزُ أنْ نقولهَ غير قوله : إذ لم يَكُنْ لنَا فيهِ إمامٌ نَأْتَمُّ بِهِ سِواهُ وفيهِ الكفايةُ والمنعُ وهو الإمامُ المُتَّبَعُ رحمة الله عليه ورضوانه .

التعليق :

تبع المصنف هنا الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ في تجهيم اللفظية واحتج بآية التوبة ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ إذ إن كلام الله لا يسمع إلا ممن تلاه بلفظه كما قال ابن عيينة :

---

(١) سنده صحيح : رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١١٨٥) (٦٠٢) .

(٢) رواه الخلال في السنة (٢١٦٧) بسند رجاله ثقات غير عبد الله بن محمود بن أفلح لم أتوصل إلى معرفته . قاله محقق السنة للخلال ، ورواه اللالكائي (٢/ ٣٩٢/ ٦٠٢) .

«رأيت ابن إدريس قائمًا عند كُتَّاب ، قلت : ما تفعل يا أبا محمد هنا ؟ قال : أسمع كلام ربي من فم هذا الغلام »[(١)].

قال الذهبي ـ رحمه الله تعالى : « فالقرآن العظيم حروفه ومعانيه وألفاظه كلام رب العالمين غير مخلوق » .

وتلفُظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة قال النبي ﷺ :

« **زينوا القرآن بأصواتكم** »[(٢)].

ولكن لما كان الملفوظ لا يستقل إلا بتلفظنا والمكتوب لا ينفك عن كتابة المتلو لا يسمع إلا بتلاوة تالٍ ، صعب فهم المسألة ، وعسر إفراز اللفظ الذي هو الملفوظ من اللفظ الذي يعني به التلفظ ، فالذهن يعلم الفرق بين هذا وبين هذا والخوض في هذا خطر ، نسأل الله السلامة في الدين وفي المسألة بحوث طويلة الكف عنها أولى ولاسيما في هذه الأزمنة » اهـ[(٣)].

وقال ابن العثيمين ـ رحمه الله تعالى : « وقد قال الإمام أحمد : « من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال : غير مخلوق فهو مبتدع » .

فنقول : اللفظ يطلق على معنيين :

على المصدر الذي هو فعل الفاعل ، وعلى الملفوظ به .

أما على المعنى الأول الذي هو المصدر فلاشك أن ألفاظنا بالقرآن وغير

---

(١) سنده صحيح : رواه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٧) .

(٢) صحيح : رواه أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (١٠١٥) ، وابن ماجه (١٣٤٢) ، وأحمد (١٨٥١٧) ، والدارمي (٣٥٠٠) ، وابن خزيمة (١٥٥١) ، وابن حبان (٧٤٩) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٥٨٠) ، وصحيح الجامع (٣٥٨٠) ، وشعيب الأرناؤوط في المسند (٤/ ٢٨٣) وقال : إسناده صحيح .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٠١) .

القرآن مخلوقة .

لأننا إذا قلنا : إن اللفظ هو التلفظ فهذا الصوت الخارج من حركة الفم واللسان والشفتين مخلوق .

فإذا أريد باللفظ التلفظ فهو مخلوق سواء كان الملفوظ به قرآنًا أو حديثًا أو كلامًا أحدثته من عندك .

أما إذا قصد باللفظ الملفوظ به ، فهذا منه مخلوق ومنه غير مخلوق .

وعليه إذا قصد باللفظ الملفوظ به فهذا منه مخلوق ، ومنه غير مخلوق وعليه إذا كان الملفوظ هو القرآن فليس بمخلوق .

هذا تفصيل القول في هذه المسألة .

لكن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ قال : « من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي » . قال ذلك لأحد احتمالين :

إما أن هذا القول من شعار الجهمية ، كأن الإمام أحمد يقول : إذا سمعت الرجل يقول : لفظي بالقرآن مخلوق فاعلم أنه جهمي .

وإما أن يكون ذلك حين يريد القائل باللفظ الملفوظ به ، وهذا أقرب ؛ لأن الإمام أحمد نفسه فسره قال : « من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد القرآن فهو جهمي » .

وحينئذ يتضح معنى قوله : « من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي » ؛ لأنه أراد الملفوظ به ولاشك أن الذي يريد باللفظ هنا الملفوظ به جهمي .

أما من قال : غير مخلوق فالإمام أحمد يقول : مبتدع لأن هذا ما عهد عن السلف وما كانوا يقولون مثل هذا القول ، يقولون : القرآن كلام الله فقط) [1] .

---

(١) شرح الواسطية لابن العثيمين ص(٤٦٣، ٤٦٤) .

فائدة :

نُسِبَ إلى البخاري القول بلفظ القرآن مخلوق وليس كذلك :

قال ابن حجر : « ظن بعضهم أن البخاري خالف أحمد وليس كذلك ، بل من تدبر كلامه لم يجد فيه خلافًا معنويًا ، لكن العالم من شأنه إذا ابتلى في رد بدعة يكون أكثر كلامه في ردها دون ما يقابلها فلما ابتلي أحمد ممن يقول القرآن مخلوق ، كان أكثر كلامه في الرد عليهم ، حتى بالغ فأنكر على من يقف ولا يقول : مخلوق ولا غير مخلوق ، وعلى من قال : لفظي بالقرآن مخلوق ، لئلا يتذرع بذلك من يقول : القرآن بلفظي مخلوق مع أن الفرق بينهما لا يخفى عليه لكنه قد يخفى على البعض .

وأما البخاري فابتلي بمن يقول : أصوات العباد غير مخلوقة حتى بالغ بعضهم فقال : والمداد والورق بعد الكتابة ، فكان أكثر كلامه في الرد عليهم وبالغ في الاستدلال بأن أفعال العباد مخلوقة بالآيات والأحاديث وأطنب في ذلك حتى نسب إلى أنه من اللفظية » . اهـ . (١) .

وقال الذهبي : « وأما البخاري فكان من كبار الأئمة الأذكياء فقال : ما قلت ألفاظنا بالقرآن مخلوقة وإنما حركاتهم وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة ، والقرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله غير مخلوق .

وصنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد فأنكر عليه طائفة وما فهموا مرامه كالذهلي وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي بكر الأعين وغيرهم) أهـ (٢) .

وعن محمد بن نصر قال : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : « من

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٩٢، ٤٩٣) .
(٢) السير (١١/ ٥١٠) .

زعم أني قلت : لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإني لم أقله ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه ، فقال : ليس إلا ما أقول [١] .

وقال أبو عمرو الخفاف : أتيت البخاري فناظرته في الأحاديث حتى طابت نفسي فقلت : يا أبا عبد الله ، ها هنا أحد يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة ، فقال : يا أبا عمرو ، أحفظ ما أقول لك : من زعم من أهل نيسابور، وقومس، والري، وهمذان، وحلوان، وبغداد، والكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله ، إلا أني قلت : أفعال العباد مخلوقة [٢] .

فائدة أخرى :

قال ابن حجر : « ويقال أول من قاله ـ أي مسألة اللفظ بالقرآن ـ الحسين بن على الكرابيسي أحد أصحاب الشافعي الناقلين لكتابه القديم ، فلما بلغ ذلك أحمد بدَّعه وهجره ، ثم قال بذلك داود بن علي الأصبهاني في رأس الظاهرية وهو يومئذ بنيسابور فأنكر عليه إسحاق وبلغ ذلك أحمد فلما قدم بغداد لم يأذن له في الدخول عليه ... » .اهـ . [٣] .

*****

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٥٧) . .
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢) ، مقدمة فتح الباري (٤٩٢) ، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨) .
(٣) فتح الباري (١٣/ ٤٩٢) .

٣ـ القول في رؤية الله عز وجل

وأما الصواب من القول في رؤية المؤمنين ربَّهُمْ عز وجل يوم القيامةِ ودينُنَا الذي نَدِينُ بِهِ ، وأَدْرَكْنَا عَلَيْهِ أهلَ السنةِ والجماعةَ فهو : « أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَرَوْنَهُ عَلَى ما صَحَّتْ به الأَخْبَار عَنْ رسولِ الله ﷺ » .

التعليق :

مذهب أهل السنة والجماعة : أنَّ الله سبحانه وتعالى يُرى في الآخرة بالأبصار؛ وهذه الرؤية رؤية حقيقية بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى ؛ وهذه الرؤية تكون للمؤمنين في أرض المحشر وفي الجنة .

وأن الكافرين لا يرون الله سبحانه أبدًا كما قال سبحانه : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] .

قال ابن أبي زمنين : « ومن قول أهل السُّنَّة : أنَّ المؤمنين يَروْنَ ربهم في الآخرة وأنه يَحْتَجِب عن الكفار والمشركين فلا يَرَوْنَهَ » . اهـ [(١)] .

وقال عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي : « وأجمع أهل الحق واتفق أهل التوحيد والصدق أن الله تعالى يُرى في الآخرة » [(٢)] .

وقال ابن تيمية : «وقد دخل أيضًا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله: الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته ، يرونه

---

(١) أصول السنة لابن أبي زمنين ص (١٢٠) .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص (١٢٥) .

سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى» [١].

وقال ابن كثير : « هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة السلف وهداة الأنام » [٢].

*****

(١) الواسطية ص (٤٦٩) .

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥٠) .

الأدلة من القرآن على رؤية الله تعالى في الآخرة

١- قال تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] .

فالحسنى هي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى الله تعالى .

٥ـ عن صهيب قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] ، وقال : « **إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، نادى منادٍ : يا أهل الجنةِ إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجزكُمُوهُ فيقولون : وما هو ؟ ألم يثقل الله موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُنْجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئًا أحَبَّ إليهم من النظر يعني إليه ولا أقر لأعينهم** » (١) .

وفي رواية : « **فيكشف الله عنهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى** » (٢) .

وفي رواية : « **وهي الزيادة** » (٣) .

قال قتادة : الحسنى: الجنة ، والزيادة فيما بلغنا : النظر إلى وجه الله تعالى (٤) .

قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] .

قال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ من النعيم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ تنظر

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥٥٢، ٣١٠٥) ، وابن ماجه (١٨٧) ، والطيالسي (٢٨٤٢) ، والدارمي في الرد على الجهمية (١٧٥) ، وصححه الألباني، وأصل الحديث في مسلم (١٨١) .

(٢) رواه مسلم (١٨١) .

(٣) **سنده صحيح**: رواه الدارقطني في الرؤية (١٥٣) .

(٤) صحيح : رواه ابن جرير في تفسيره (١٧٦٤٤) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٦٩) ، والدارقطني في الرؤية (٢٤٤) ، واللالكائي (٧٩٨) .

إلى ربها عز وجل نظراً [(١)] .

وقال الإمام أحمد : هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله [(٢)] .

٣- قال تعالى : ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق:٣٥] .

قال ابن تيمية :

« وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن الأسود بن عامر قال : ذكرني شريك عن أبي اليقظان عن أنس : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق:٣٥] قال : يتجلى لهم كل جمعة » [(٣)] .

*****

(١) إسناده صحيح: رواه الآجري (٦٢٧) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٨١) ، واللالكائي (٨٠٣) .

(٢) إسناده صحيح : الآجري (٦١٨) ، وفي التصديق بالنظر (٧) . .

(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٤١٥) والأثر [إسناده ضعيف] رواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٩٨)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٢٢٦) ، اللالكائي (٨١٣) وعلته أبو اليقظان وهو عثمان بن عمير ويقال ابن قيس [ضعيف اختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع] التقريب (٤٥٠٧) .

الأدلة من السنَّة على رؤية الله تعالى في الآخرة

١ - عن أبي هريرة قال : قال ناس : يا رسول الله ، أنرى ربنا عز وجل يوم القيامة ؟

قال : «**هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ؟!**» قالوا : لا، قال : «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ؟**» قالوا : لا ، قال: «**والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ..**» [(١)] .

٢ - عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول ﷺ : « **جنتان من فضة آنيتها وما فيها ، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن** » [(٢)] .

٣- عن عامر بن سعد قال : قرأ أبو بكر الصديق أو قرئت عنده : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] قالوا : وما الزيادة يا خليفة رسول الله ؟ قال : « **النظر إلى وجه الله عز وجل** » [(٣)] .

ومن الأدلة أنه يُرى سبحانه في أرض المحشر :

٤- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء الرب عز وجل إلى المؤمنين فوقف عليهم والمؤمنون على كوم** » .

---

(١) رواه البخاري(٧٤٣٤) ، ومسلم (٢٩٦٨) .

(٢) رواه البخاري (٤٨٧٨) ، ومسلم (١٨٠) .

(٣) صحيح: رواه الدارقطني في الرؤية (١٩٢) ، وفي العلل (١/ ٢٨٢) .

قالوا لعقبة : وما الكوم ؟ قال: المكان المرتفع .

«فيقول : هل تعرفون ربكم عز وجل ؟ فيقولون : إن عرفنا نفسه عرفناه ، فيقول لهم الثانية : هل تعرفون ربكم ؟ فيقولون : إن عرفنا نفسه عرفناه قال : «فيتجلى لهم عز وجل فيضحك في وجوههم فيخرون سجدًا » (١) .

٥- عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الوُرُوْدِ فقال : « نحن يوم القيامة على كذا وكذا ، انظر أي ذلك فوق الناس ، قال : فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون :

ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : أنا ربكم يقولون : حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك » (٢) .

وفي رواية : « فيقول : هل تعرفون الله إن رأيتموه ؟ فيقولون : نعم فيتجلى لهم ضاحكًا فيقولون : أنت ربنا تبارك اسمك ويخرون له سجدًا » (٣) .

وفي رواية عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « يتجلى لنا الرب عز وجل ضاحكًا ويقول : أبشروا معاشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًا » (٤) .

ومن الأدلة أنه يُرى سبحانه في الجنة :

- عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « ... إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض ، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من

---

(١) **صحيح لغيره**: رواه الترمذي (٢٥٥٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٦٣١) ، وابن خزيمة في التوحيد (٣٣٨) ، والدارقطني في كتاب الرؤية (٢٢) ، وصححه الألباني في السنة (٦٣١، ٦١١) .

(٢) **صحيح موقوف وله حكم الرفع**: رواه أحمد في مسنده (١٥١٨١) .

(٣) **صحيح**: رواه الدارقطني في كتاب الرؤية (٥٤١) .

(٤) **صحيح لغيره**: رواه الآجري (٦٨٤) .

عليين على كرسيه ، ثم حَفَّ الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى يُنظَر إلى وجهه .. » (١) .

ومن الآثار الواردة في رؤية الله تعالى :

١- قال ابن مسعود : « والله إن منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر » (٢) .

٢- وقال معاوية بن أبي سفيان : « قصيرة من طويلة من أتاكم يزعم أنه ربكم فاعلموا أنكم لن تروا ربكم عز وجل حتى تموتوا » (٣) .

من أقوال الأئمة في رؤية الله تعالى وأنها تكون بالأبصار :

١- قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى : « الناس ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة بأعينهم » (٤) .

٢- وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] : دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصار وجوههم ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى » (٥) .

٣ـ وقال عبد الله بن أحمد ـ رحمه الله تعالى :

---

(١) حسن لغيره: رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٧١٧) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٢٨)، وحسنه الألباني في الترغيب (٤/ ٣٠٤) .

(٢) سنده صحيح: رواه اللالكائي (٨٦٠) .

(٣) سنده صحيح: رواه اللالكائي (٨٦٣) .

(٤) سنده صحيح: رواه الآجري (٦٥١) .

(٥) سنده صحيح : رواه ابن بطة في الإبانة (٥٢) ، واللالكائي (٨٨٤) ، والبيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤١٩) .

« رأيت أبي ـ رحمه الله ـ يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها وجمعها أبي ـ رحمه الله ـ في كتاب وحدثنا بها »[١].

وسبق أن قال : « هذا دليل على أن المؤمنين يرون الله »[٢].

*****

(١) مسائل عبد الله ص (٤٤) .

(٢) **سنده صحيح**: الآجري (٦١٨) ، وفي النظر (٧) .

الذين خالفوا في باب الرؤية ومناقشتهم

قال الدارمي ـ رحمه الله تعالى :

(فاحتج مُحْتَجٌّ منهم بقول الله تعالى لموسى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

قلنا : هذا دليل عليكم ، لا لكم ، إنما قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ في الدنيا ؛ لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا ، فلا تحمل النظر إلى نور البقاء فإذا كان يوم القيامة رُكِّبتِ الأبصار والأسماع للبقاء فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طَوَّقها الله .

ألا ترى أنه يقول : ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] ولو قد شاء لاستقر الجبل ورآه موسى ولكن سبقت منه الكلمة أن لا يراه أحد في الدنيا فلذلك قال : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ .

فأما في الآخرة فإن الله تعالى يُنْشِئُ خلقه ، فيركب أسماعهم وأبصارهم للبقاء ، فيراه جهرًا كما قال رسول ﷺ ....» ا.هـ(١) .

وقال الإمام أحمد : « فقلنا لهم : لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم » .

فقالوا : لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى ربه ؛ لأن المنظور إليه معمول موصوف لا يرى إلا لشيء يفعله .

فقلنا : أليس الله يقول : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

فقالوا : إنما معنى إلى ربها ناظرة أنها تنتظر الثواب من ربها وإنما ينظرون إلى فعله

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص (١٢٥) .

وقدرته وتلو آية من القرآن : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان:٤٥] . فقالوا : إنه حين قال : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنهم لم يروا ربهم ولكن المعنى ألم تر إلى فعل ربك.

فقلنا : إن فعل الله لم يزل العباد يرونه وإنما قال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .

فقالوا : إنما تنتظر الثواب من ربها .

فقلنا : إنها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربَّها .

فقالوا : إن الله لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وتلو آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] (١).

وقد كان النبي ﷺ يعرف معنى قول الله : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وقال : « **إنكم سترون ربكم** » (٢).

وقال لموسى : ﴿لَن تَرَىٰنِي ﴾ . ولم يقل : « لن أُرى » فأيهما أولى أن يتبع النبي ﷺ حين قال : « **إنكم سترون ربكم** » أم قول الجهمي حين قال : لا ترون ربكم والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم لا يختلف فيه أهل العلم ومن حديث سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد في قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] النظر إلى وجه الله (٣).

ومن حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي

---

(١) قال ابن عباس : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا يحيط بصر أحد بالملك ، رواه ابن جرير في تفسيره [١٣٧٣٠] .

(٢) **صحيح** : رواه الدارقطني في الرؤية (٩٢) وسبق تخريجه .

(٣) رواه مسلم (١٨١) .

عن النبي ﷺ قال : « **إذا استقر أهل الجنة في الجنة نادى منادٍ : يا أهل الجنة إن الله قد وعدكم الزيادة . قال : فيكشف الحجاب فيتجلى لهم...**» وذكر الحديث.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله : فينظرون إلى الله لا إله إلا هو ، وإنا لنرجو أن يكون جهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم ويحجبون عن الله لأن الله يقول للكفار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥] .

فإذا كان الكافر يحجب عن الله والمؤمن يحجب عن الله فما فضل المؤمن على الكافر ، فالحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته وجعلنا ممن اتبع ولم يجعلنا ممن ابتدع والحمد لله وحده ا.هـ [(١)] .

وقال الدكتور / عبد الرحمن بن صالح المحمود :

« وقبل أن نذكر الأدلة عليها نشير إلى أن الذين خالفوا في باب الرؤية هم : المعتزلة وسار على منهاج المعتزلة : الرافضة والزيدية والإباضية إحدى طوائف الخوارج فإنهم ينكرون الرؤية ».

أما بالنسبة للغلاة من الجهمية والفلاسفة وغيرهم فإنهم ينكرون مع الرؤية ما هو أكبر وأظهر مما هو معلوم من مذاهبهم الغالية الفاسدة .

أما بقية طوائف أهل السنة المنتسبين إلى السنة فإنهم يثبتون الرؤية في الجملة فيثبتها أهل السنة والأشاعرة والماتريدية ويردون على المعتزلة في ذلك إلا أن نفيهم لعلو الله سبحانه وتعالى أوقعهم في مأزق فيما يتعلق بإثبات الرؤية ، حتى أن المعتزلة نُفاة الرؤية قالوا لهؤلاء الأشاعرة : لا يمكن أن تصح الرؤية إلا

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص٩٠ ، ٩٥ . باب : بيان ما جحدت الجهمية من قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ . ط دار المنهاج .

بإثبات العلو ؛ لأنها مستلزمة له أما إذا نفيتم علو الله وأثبتم الرؤية وقلتم: إنها بلا مقابلة فمعنى ذلك أنكم لم تثبتوا الرؤية حقًا وإنما أثبتم رؤية علمية وهذه لا نخالفكم فيها .

وما ذهب إليه الأشاعرة والماتريدية في هذه القضية مخالف لمنهج السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ فإثباتهم للرؤية وإنكارهم للعلو تناقض ، فهم إما أن يثبتوا الرؤية وأن المؤمنين يرون ربهم ويرفعون إليه أبصارهم في الجنة فيرونه ويكلمهم ويكلمونه وبذلك يثبتون الرؤية والعلو جميعًا أو يسلكوا مسلك المعتزلة الذين نفوا الأمرين جميعًا نفوا العلو لله سبحانه وتعالى وعلى إثره نفوا رؤية الله سبحانه وتعالى وحملوها على الرؤية العلمية أو نحوها ، مع العلم أن مذهبهم أعظم بطلانًا من مذهب من أثبت الرؤية ونفى العلو ووقع في التناقض .

أما أهل السنة والجماعة فهم الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لسلوك المنهج الحق بإثبات الأمرين جميعًا ا.هـ (١) .

معنى قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣] .

قال البغوي ـ رحمه الله تعالى : « وأما قوله : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ علم أن الإدراك غير الرؤية ؛ لأن الإدراك هو : الوقوف على كُنهِ الشيء والإحاطة به .

والرؤية : المعاينة وقد تكون الرؤية بلا إدراك قال الله تعالى في قصة موسى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ﴾ [الشعراء:٦١، ٦٢]

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد ص(٢٠٢، ٢٠٣) .

وقال : ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ [طه:٧٧] . فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يُرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾ [طه:١١٠] . فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم » .

قال سعيد بن المسيب : لا تحيط به الأبصار .

وقال عطاء : كلَّت أبصار المخلوقين عن الإحاطة به .

وقال ابن عباس ومقاتل :

لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يُرى في الآخرة . ا.هـ [١] .

وقال قتادة قوله : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ : وهو أعظم من أن تدركه الأبصار ا.هـ [٢] .

مسألة : هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة أسري به ؟

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى :

« وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين » [٣] . وعائشة أنكرت الرؤية [٤] .

فمن الناس من جمع بينهما فقال : عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ١٤٩) ، وزاد المسير (٢/ ٦٢) ، القرطبي (٧/ ٤٥) .

(٢) سنده حسن : رواه ابن جرير في تفسيره (١٣٦٩٩) .

(٣) رواه مسلم (١٧٦) .

(٤) روي البخاري (٣٢٣٤ ، ٧٣٨٠) ، ومسلم (١٧٧) عن عائشة قالت : من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ ، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول : « لا يعلم الغيب إلا الله » ، وفي رواية : من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الْفَرِيَّةَ .

أثبت رؤية الفؤاد ، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة ، أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول : «رأى محمد ربه»(١) . ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح أنه رآه بعينه .. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ، ولا يثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك ، بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : « **نور أنَّى أراه** »(٢) .

وقد قال تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾ [الإسراء:١] .

ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى .

وكذلك قوله : ﴿ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم:١٢] ، ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٨] . ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى .

وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء:٦٠] . قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به .

وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج ، فكان ذلك فتنة لهم ، حيث صدقه قوم وكذبه قوم ولم يخبرهم أنه رأى بعينه وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه . ا.هـ(٣) .

---

(١) **صحيح لغيره** : رواه الترمذي (٣٢٨٠) ، والدارقطني في الرؤية (٢٧٥) ، وابن حبان (٣٨ موارد) .
(٢) رواه مسلم (١٧٨) .
(٣) الفتاوي (٦/ ٥٠٩ ، ٥١٠) .

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي : « التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع أنه ﷺ لم يره بعين رأسه ، وما جاء عن بعض السلف من أنه رآه فالمراد به الرؤية بالقلب كما في « صحيح مسلم» أنه رآه بفؤاده مرتين لا بعين الرأس».

ومن أوضح الأدلة على ذلك : أن أبا ذر رضي الله عنه وهو في صدق اللهجة من هو !! سأل النبي ﷺ عن هذه المسألة بعينها فأفتاه بها مقتضاه أنه لم يره [(١)].

ثم ختم هذه المسألة بقوله : والتحقيق الذي لا شك فيه هو أن معنى الحديث هو ما ذكر من كونه لا يتمكن أحد من رؤيته لقوة النور الذي هو حجابه .

ومن أصرح الأدلة على ذلك أيضًا : حديث أبي موسى المتفق عليه : « **حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بصره من خلقه** » [(٢)].

وهذا هو معنى قوله ﷺ : « **نور أنَّى أراه** » أي كيف أراه وحجابه نور ، ومن صفته أنه لو كشفه لأحرق ما انتهى إليه بصره من خلقه . ا.هـ [(٣)].

فالراجح الجمع بين نفي عائشة حيث نفت الرؤية البصرية الحقيقية وبين إثبات ابن عباس للرؤيا حيث إنه أثبت الرؤية المنامية القلبية [(٤)]. فلا تعارض بين القولين .

*****

(١) رواه مسلم (١٧٨) .

(٢) رواه مسلم (١٧٩) .

(٣) أضواء البيان (٦/ ٢٨٨،٢٨٩) .

(٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة : قال أحسبه قال : في المنام ، فقال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ ....** » .
صحيح : رواه الترمذي (٣٢٣٣) ، وأحمد (١/ ٣٦٨) ، وابن أبي عاصم (٤٦٥) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٦٩) ، وصحيح سنن الترمذي (٢٥٨٠) ، والمشكاة (٣٧) .

٣- حدثنا أبو السائبِ سَلَمُ بن جُنادةِ ، حدثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، وحدثنا تميمُ بن المنتصر ومجاهدُ بن موسى ، قال : تميم : أنبأنا يزيد ، وقال مجاهد : حدثنا يزيد بن هارون ، وحدثنا ابن الصباح ، حدثنا سفيان ومروان بن معاوية ويزيد بن هارون جميعًا عن : إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : كُنَّا جُلوسًا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدرِ فقال : « **إِنَّكُمْ راؤونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، كما ترون هذا القَمَرَ لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ ، فإنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قَبْلَ طُلوعِ الشمس وقَبْلَ غُروبها ، فَافْعَلوا** » . ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه:١٣٠]

ولفظ الحديث كحديث مجاهد قال مجاهد : قال يزيد : من كَذَّبَ بهذا الحديث فهو بَريءٌ من الله ورسوله ـ حَلَفَ غَيْرَ مَرّةٍ ـ وأقول أنا : صَدَقَ رسولُ الله ، وصَدَقَ يزيد ، وقال الحق . أهـ (١) .

*****

(١) **صحيح** : رواه البخاري (٥٢٩) ، ومسلم (٦٣٣) . لا تضامُّون في رؤيته : يُروى بالتّشديد والتخفيف ، فالتشديد معناه : لا يَنْضَمُّ بَعْضُكم إلى بَعْضٍ ولا تَزْدَحِمُونَ وقتَ النَّظَر إليه . ومعنى التخفيف : لا يَنَالُكم ضَيْمٌ في رُؤْيَتِهِ ، فَيَراه بعضُكم دون بعضٍ . ا.هـ النهاية (٣/ ١٠١) .

٤ـ القولُ في أفعالِ العبادِ

وأما الصوابُ من القولِ لَدَيْنَا ، فيما اخْتُلِفَ فيه من أفعالِ العبادِ وحسناتِهِم وسيئاتِهِم ، فإنَّ جَمِيعَ ذلكَ مِنْ عِنْدِ الله تعالى ، والله سبحانه مُقَدِّرُهُ ، ومُدَبِّرُهُ ، ولا يكونُ شيءٌ إلا بإذْنِهِ ، ولا يَحْدُثُ شيءٌ إلا بِمَشيئَتِهِ ، لَهُ الخلقُ والأَمْرُ كَما يُريدُ .

التعليق :

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، فالعبد هو المباشر لفعله حقيقة والله خالق فعله حقيقة .

أي أن الله تعالى خالق كل شيء من ذلك أفعال العباد فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه ، وهذه هي المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر التي فيها النزاع الطويل بين أهل السنة ومن خالفهم من المعتزلة القدرية والجبرية - قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] .

أي خلقكم وعَمَلَكم فتكون «ما» مصدرية .

ويؤيده ما رواه البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة ﷺ : قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يصنع كل صانعٍ وصنعَتَه** » وتلا بعضهم عند ذلك : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

وفي لفظ : « **إن الله خلق كل صانعٍ وصنعَتَه** »[١] .

---

(١) صحيح : خلق أفعال العباد (١١٧) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٥٧، ٣٥٨) ، والبيهقي في القضاء والقدر (١٣١) ، والأسماء والصفات (٧٥٠) ، والاعتقاد (ص١٦٣) ، وشعب الإيمان (١/ ٢٠٩)، والحاكم (١/ ٣١) ، والبزار (٢١٦٠) ، وابن منده في التوحيد (١١٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٧) ، والصحيحة (١٦٣٧) .

وقال البخاري : « أفعال العباد مخلوقة »(١) .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٣]

فالله منفرد بالخلق والتقدير ، والعبد له مشيئة وإرادته وله فعل فهو باختياره يذهب إلى المسجد وباختياره يذهب لشرب الخمر والمعصية ؛ لأن عنده قدرة والإنسان الذي لم يعطه الله قدرة ولا استطاعة فهذا قد عذره الله مثل المجنون والمكره، فليس عنده إرادة ، وليس عنده قصد ، أما من عنده إرادة وقصد فهذا الذي يختار الفعل لنفسه ، والعقاب والثواب يقع على فعله وليس على فعل الله عز وجل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة:٦٢، النساء:٥٩] ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران:١١٦] أسند الإيمان إليهم ، وكذلك أسند الكفر .

﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩] .

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [النور:٥٢] أسند الأفعال إلى العباد .

والدليل على أن العبد له إرادة وقصد قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان:٣٠] .

فأثبت الله سبحانه له مشيئة وللعبد مشيئة ، وجعل مشيئة العبد تحت مشيئته سبحانه : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾ [التكوير:٢٨] ، شاء أي باختياره ، وفي هذا رد على الجبرية « إلا أن يشاء الله » في هذا رد على القدرية (٢) .

---

(١) خلق أفعال العباد (ص٧٢) .

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية د/ فوزان ص(٢٠٩ - ٢١٢) مسألة (١٧٩) .

ومن أدلة السنة على ذلك :

١- عن ابن رفاعة الزُّرَقي ، عن أبيه قال : كان النبي ﷺ يدعو :

« **اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، وأعوذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا** » (١).

٢- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بَغَوْا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا (٢)

٣- عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال:

« **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا يؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح....الحديث**» (٣).

٤- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« **احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخَطَّ لك بيده ، أتلومني على**

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٣/ ٤٢٤) (١٥٥٧٣) ، والحاكم (٣/ ٢٣) ، والطبراني (٤٥٤٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (٣٨١) ، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة ص(٢٥٦) .

(٢) رواه البخاري (٤١٠٤) ، ومسلم (١٨٠٣) .

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) .

أمر قَدَّرَهُ الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فَحَجَّ آدم موسى ، ثلاثًا » [(١)] .

قال ابن حجر بعد أن ذكر أقوال أهل العلم :

«وفي الجملة فأصح الأجوبة الثاني والثالث ولا تنافي بينهما فيمكن أن يمتزج منهما جواب واحد وهو أنت التائب لا يلام على ما يتب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف .

وقد سلك النووي [(٢)] هذا المسلك فقال :

معنى كلام آدم : أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق فلا بد من وقوعه ، ولو حرصت أنا والخلق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلومني؛ فإنَّ اللوم على المخالفة شرعي لا عقلي، وإذا تاب الله عليَّ وغفر لي زال اللوم ، فمن لامني كان محجوجًا بالشرع ، فإن قيل : فالعاصي اليوم لو قال : هذه المعصية قدرت عليَّ فينبغي أن يسقط عني اللوم ، قلنا : الفرق أن هذا العاصي باق في دار التكليف، جارية عليه الأحكام ؛ من العقوبة واللوم ، وفي ذلك له ولغيره زجر وعظة، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف مستغن عن الزجر فلم يكن للومه فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل فلذلك كان الغلبة له » أ هـ [(٣)] .

*****

(١) رواه البخاري (٦٦١٤) ، ومسلم (٢٦٥٢) .
(٢) شرح مسلم للنووي (المنهاج) [٧/ ٧٦٥] ط دار الغد .
(٣) فتح الباري (١٥/ ٢٤٠) ط دار طيبة .

٤- حدثني زياد بن يحيى الحَسَّانِيُّ، وعبيد الله بن محمد الفِرْيَابِيُّ قالا: حدثنا عبد الله بن ميمون، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ:

« **لا يؤمنُ عَبْدٌ حَتىَّ يُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وحَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ما أَصابَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وما أَخْطَأَهُ، لَمْ يَكُنْ ليصيبَه** ». اللفظ لحديث أبي الخطاب زياد بن عبد الله[1].

٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم الجوزجاني حدثنا ابن أبي حازم حدثني أبي عن ابن عمر قال: « القَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ فإنْ مَرِضُوا فلا تَعُودوهُمْ، وإنْ مَاتوا فَلا تَشْهَدُوهُم »[2].

*****

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٢١٤٤)، وابن عدي في الكامل (١/ ٢١٧)، وصححه الألباني في « الصحيحة » (٢٤٣٩).

(٢) **حسن**: رواه البخاري في تاريخه (٢٦٨١)، وأبو داود (٤٦٩١)، والطبراني في الأوسط (٢٤٩٤،٢٥٦٧)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٠٧)، والحاكم (٢٨٦)، والبيهقي (٢٠٦٥٨، ٢٠٦٨٩، ٢٠٦٨٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩/ ٦٢) من حديث ابن عمر مرفوعًا. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٤٢)، والمشكاة (١٠٧) وغيرها.

وقال ابن العثيمين في شرح الواسطية ص٥٦٧: « لأن المجوس يقولون: إن للحوادث خالقين: خالقًا للخير، وخالقًا للشر فخالق الخير هو النور، وخالق الشر هو الظلمة، فالقدرية يشبهون هؤلاء المجوس من وجه لأنهم يقولون: إن الحوادث نوعان: حوادث من فعل الله فهذه خلق الله، وحوادث من فعل العباد فهذه للعباد استقلالاً وليس لله تعالى فيها خلق ». اهـ. سبحانك هذا بهتان عظيم وضلال مبين تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

٥ ـ القول في صحابة رسول الله ﷺ

وأمَّا الحقُّ في اختلافِهِم في أفضل أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ فما جاءَ عنه ﷺ وتتابع على القولِ به السلفُ وذلك ما :

٦- حدثني موسى بن سهل الرملي وأحمد بن منصور بن سيَّار الرمادي ، قالا : حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني نافع بن يزيد عن زُهْرَةَ بن مَعْبَدٍ عن سعيد بن المُسَيَّبِ ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا اختارَ أَصْحَابي عَلَى جَميعِ العَالَمينَ ، سِوَى النَبيينَ والمُرْسَلينَ ، واخْتَارَ مِنْ أَصْحَابي أربعة : أبا بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ وعليًا** ـ رضوان الله عليهم ـ **فَجَعَلَهُم خيرَ أصحابي ، وفي أصحابي كُلِّهم خيرٌ، واختار أمتي على سائرِ الأممِ واختارَ من أُمَّتي أربعةَ قرونٍ من بَعْدِ أصحابي القرنُ الأولُ والثاني والثالثُ تَتْرَى ، والقرنُ الرابعُ فردًا** »[1].

---

(١) موضوع : رواه الآجري (١٢١٣) ، والخطيب في تاريخه (٣/ ١٦٢) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩/ ١٩٨، ١٨٥، ١٨٤) ، وذكره ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات (١٥٥) ، وقال الذهبي في الميزان (٣/ ١٥٦) : «ولقد قامت القيامة على عبد الله بن صالح بهذا الخبر» أهـ . وقد حكم عليه بالوضع والبطلان النسائي وأبو زرعة الرازي كما في تهذيب الكمال والميزان ،

قلت: وفي الصحيح من الأحاديث غُنْيَةٌ عن هذا الحديث الموضوع : عن أبي بردة قال : قال رسول الله ﷺ : « **النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** » . رواه مسلم (٢٥٣١) . وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « **أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم لكتاب الله أُبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت ، ألا وإن لكل أمة أمينًا وأمين هذه الأمةِ أبو عبيدة بن الجَرَّاح** » . صحيح : رواه الترمذي (٣٧٩١)، ابن ماجه (١٥٤) ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٤) .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنكم وفيتم سبعين أمة ، أنتم** =

وكذلك نقول : « فأفضلُ أصحابه ﷺ الصديق أبو بكر ﷺ ، ثم بعده الفاروق عمر ، ثم ذو النورين عثمان بن عفان ، ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليهم أجمعين » .

التعليق :

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى :

« الصحبة اسم جنس تقع على من صحب النبي ﷺ قليلاً أو كثيرًا لكن كل منهم له من الصحبة بقدر ذلك ، فمن صحبه سنة أو شهرًا أو يومًا أو ساعة أو رآه مؤمنًا فله الصحبة بقدر ذلك » اهـ (١) .

من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهة ، وسلامة اللسان من كل قول لا يليق بهم من سب أو شتم أو تفسيق أو تكفير وما أشبه ذلك مما يأتي به أهل البدع (٢) .

= **خيرها وأكرمها على الله »** . **حسن** : رواه الترمذي (٣٠٠١) ، وابن ماجه (٤٢٨٨) ، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٦٢٨٥) .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** .... الحديث » . رواه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٣٣) .

وعن ابن عمر قال : كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم . رواه البخاري (٣٤٩٤) .

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٦٤) .

(٢) كالروافض الذين يكفرون الصحابة ويلعنونهم ويتقربون إلى الله بهذا البهتان العظيم . قال أبو زرعة الرازي : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة» . الكفاية للخطيب البغدادي ص(٩٧) . =

فإذا سلمت من هذا ، ملئت بالحب والتقدير والتعظيم والثناء لأصحاب رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:٨-١٠] .

وعن أبي سعيد قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فَسَبَّهُ خالد فقال رسول الله ﷺ :

« **لا تَسُبُّوا أحدًا من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَهُ** »(١) .

وقال ابن عمر : « لا تَسُبُّوا أصحاب محمد ، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم أربعين سنة »(٢) .

= عن أنس قال : قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسَبُّ . فقال رسول الله ﷺ : « **من سَبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً** » . حسن لغيره: رواه الآجري (٢٠٤٨) ، والخطيب في تاريخه (١٤/ ٢٤١) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠١) وحسنه الألباني ، وقال الإمام أحمد : « إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام » .

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) ، ومسلم (٢٥٤١) .

(٢) صحيح : رواه الآجري (٢٠٥٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦) ، وصححه الألباني .

وقال ابن مسعود : « من كان مستنًا فَلْيَستَنَّ بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فهم كانوا على الهدي المستقيم »(١).

وقال الإمام أحمد : « فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال »(٢).

ومن أصول أهل السنة أيضًا : أن الصحابة درجات ومراتب :

فالخلفاء الراشدون هم أعلى درجة ومرتبة ومقامًا، وأعلاهم مرتبة :

أبو بكر الصديق ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب كما قال المصنف ـ رحمه الله تعالى .

وهذا هو الذي استقر عليه أهل السنة والجماعة .

وإن كان بعض أهل السنة قدموا عليًا على عثمان وبعضهم قدم عثمان ثم سكت وبعضهم توقف في أيهما أفضل ، لكن استقر أهل السنة والجماعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ، على ترتيبهم في الخلافة وهو الصواب .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى :

« وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان وهو مذهب جماهير أهل الحديث وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار »(٣).

---

(١) **سنده ضعيف** : رواه البغوي (١/ ٢١٤) في شرح السنة ، وابن عبد البر في جامعه (١٨١٠) .

(٢) رواه اللالكائي (١/ ١٦٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢/ ٧٤) .

وقال : « عليه استقر أمر أهل السنة » [١] .

والمفاضلة بين عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ليست من أصول أهل السنة التي يضلل فيها المخالف ، فمن قال : أن عليًا أفضل من عثمان فلا نقول : إنه ضال ، بل نقول : هذا رأي من أراء أهل السنة ولا نقول فيه شيئًا [٢] .

قال ابن تيمية :

«وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة » [٣] .

وقال : «وهناك رأي آخر بالتبديع يروي عن أيوب السختياني ، وأحمد بن حنبل ، والدارقطني، ولكن عدم التبديع أرجح » [٤] .

ويعتقد أهل السنة أن الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا أفضل من الذين أنفقوا بعد الفتح وقاتلوا [٥] .

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

[الحديد:١٠]

وأهل السنة يقدمون المهاجرين على الأنصار ؛ لأن المهاجرين جمعوا بين

---

(١) الفتاوي (٨/ ٢٢٥) .

(٢) شرح الواسطية لابن العثيمين ص(٦٠٦) .

(٣) الواسطية ص(٦٠٦) .

(٤) انظر: الفتاوي (٤/ ٤٢٦) ، ومنهاج السنة (٨/ ٢٢٥) .

(٥) ذهب جمهور أهل العلم أن الفتح هو فتح مكة . وهناك رأي آخر وهو الأرجح أنه صلح الحديبية ففي الحديث الذي رواه البخاري (٤١٥٠) عن البراء قال : تَعُدُّونَ أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحًا ، ونحن نَعُدُّ الفتح بَيْعَةَ الرضوان يوم الحديبية .... الحديث » .

الهجرة والنصرة والأنصار أتوا بالنصرة فقط . قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة:١٠٠] فقدم المهاجرين على الأنصار .

ويعتقد أهل السنة أن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : « **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** »(١) .

فكل ما يقع منهم من ذنوب فإنه مغفور لهم بسبب هذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم .

وفي هذه الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم فهو مغفور لهم.

ويعتقد أهل السنة أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر النبي ﷺ بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:١٨، ١٩] .

وعن جابر قال : أخبرتني أمُّ مُبَشِّرٍ أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها** » .

قالت : بلى يا رسول الله ، فانتهزها فقالت حفصة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]

فقال النبي ﷺ : « قد قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧) .

ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢] »[١].

وعن البراء بن عازب قال : « إنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة أو أكثر ... »[٢]. وكان من جملة المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي .

ويشهد أهل السنة بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة .

عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « **أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة** »[٣].

تسمية أبي بكر بالصِّدِّيق :

لما كان حادث الإسراء والمعراج وأخبر به المصطفى ﷺ قريشًا اختلف الناس بين مصدقٍ ومرتابٍ ومندهش ومتحير وقد ارْتدّ نفر عن الإسلام عندما حكموا عقولهم القاصرة ، وتجاربهم التي ألفوها ، لكن أبا بكر عندما أخبر بذلك لم يخالجه شك أو يقع في نفسه ريب وأعلن بملء فيه أنَّ الرسول صادقٌ فيما أخبر به عن عائشة قالت : لما أسرى بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به

(١) رواه مسلم (٢٤٩٦) .

(٢) رواه البخاري (٤١٥١) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي (٣٧٤٧) ، وصححه الألباني صحيح الجامع (٥٠) .

الليلة إلى بيت المقدس ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق ، فتعجبوا وقالوا : أو تصدقُهُ أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟

فقال : وما يعجبكم من ذلك فوالله إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة ، ثم أقبل على النبي ﷺ يسأله عن وصفه وكلما ذكر شيئًا قال : صَدَقْتَ أشهد أنك رسول الله فقال النبي ﷺ : « **وأنت يا أبا بكر الصديق** »(١) .

فمنذئذٍ سُمِّيَ بالصِّديقِ ، وقيل : سُمِّيَ بالصديق لَتَصْدِيقه هذه الواقعة حين كَذَّبَها الناسُ (٢) .

تسمية عمر بالفاروق :

قال ابن منظور : والفاروق عمر بن الخطاب ﷺ سماه به لتفريقه بين الحق والباطل وفي التهذيب لأنه ضرب بالحق على لسانه في حديث ذكره (٣) .

وقيل إنه أظهر الإسلام بمكة فَفَرَّق بين الكفر والإيمان . أ هـ .

تسمية عثمان بذي النورين :

في تاج العروس : وذو النّورَيْن لقُب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ ؛ لأنه لم يُعلَم أحدٌ أرسل سِتْرًا على بَنْتَىْ نَبيٍّ غيره . ا هـ (٤) .

أما قوله : «وإمام المتقين على بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين» .

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٧) ، وصححه ووافقه الذهبي وقال الألباني في «الصحيحة» (٣٠٦) : « صحيح وللحديث شواهد لهذه الزيادة في آخره ثم ذكرها » .

(٢) الرحيق المختوم ص (٢٧) ، وموسوعة نضرة النعيم (٦/ ٢٤٧٦) .

(٣) لسان العرب (١٠/ ٢٩٩) ط دار بيروت .

(٤) تاج العروس (١/ ٣٥٧٨) .

فلعله اعتمد في ذلك على الحديث الذي ورد في فضل عليّ، عن حكيم الجهني مرفوعًا قال: « **إن الله تعالى أوحى إليَّ في عليٍّ ثلاثة أشياء ليلة أسري بي ، أنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين** »[١].

وقال ابن تيمية :

هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وكل من له أدنى معرفة بالحديث يعلم أن هذا كذب موضوع .. وذلك أن سيد المرسلين وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين هو رسول الله ﷺ باتفاق المسلمين . أ هـ[٢].

*****

(١) **حديث موضوع** : رواه الطبراني في المعجم الصغير (١٠١٢) ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٢١) : « فيه عيسى بن سواره النخعي وهو كذاب » ، وقال الألباني في الضعيفة (٣٥٣) : «موضوع».

(٢) منهاج السنة (٧/ ٢١١).

٦ ـ القول في الإمامة

وأَمَّا أَوْلَى الأقوالِ بالصوابِ عِنْدَنَا ، فيما اخْتَلَفُوا : مَنْ أَوْلَى الصحابةِ بالإمامة ؟! فبقول من قال بها :

٧- حدثني به محمد بن عَمارة الأسدي ، حدثنا عبيد الله بن موسى ، حدثنا حَشْرَجُ ابن نُبَاتَة ، حدثني سعيد بن جُهْمَان عن سفينة مولى رسول الله ﷺ :

«**الخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، مُلْكٌ**» قال لي سفينة : «امْسِكْ !! خلافةُ أبي بكر ، وخلافةُ عُمر ، وخلافةُ عثمان ، وخلافةُ عليٍّ » قال : فنظرت فوجدتها ثلاثين سنة [١] .

التعليق :

المسألة التي عنى بها ابن جرير بتقريرها في هذا المبحث هي أن ترتيب الأربعة الخلفاء ﷺ على هذا الترتيب الذي ذكره سفينة مولى رسول الله ﷺ استدلالًا بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه عنه .

فيجب علينا أن نعتقد بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر الصديق ثم عمر ابن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب .

وأنهم في أحقية الخلافة على هذا الترتيب حتى لا نقول : إن هناك ظلمًا في الخلافة كما ادعته الرافضة حين زعموا أن أبا بكر وعمر وعثمان والصحابة

(١) صحيح: رواه أحمد (٢١٩٧٨) ، وأبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧) ، والترمذي (٢٢٢٦) ، والطبراني (١٣، ١٣٦، ٦٤٤٢، ٦٤٤٤) ، والحاكم (٤٦٩٧) ، والنسائي في الكبرى (٨١٥٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (١١٨٥، ١١٨١) ، وابن حبان (١٥٣٤، ١٥٣٥ موارد) ، والبيهقي في دلائل النبوة، وأبو نعيم في فضائل الصحابة (٢/ ٢٦١/ ٢) ، والروياني في مسنده (٢٥/ ١٣٦/ ١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٥٧) ، وفي الصحيحة (٤٥٩) .

كلهم ظلمة لأنهم ظلموا على بن أبي طالب حيث اغتصبوا الخلافة منه .

وهذه المسألة ممن يضلل المخالف فيهما كما قال ابن تيمية :

« لكن المسألة التي يضلل فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله » .اهـ [١] .

واعلم أن الترتيب في الأفضلية على ما سبق لا يعني أن من فضل غيره ، فإنه يفضله في كل شيء ، بل قد يكون للمفضول فضيلة لم يشاركه فيها أحد وتميز أحد هؤلاء الأربعة أو غيرهم بميزة يفضل بها غيره لا يدل على الأفضلية المطلقة ، فيجب التفريق بين الإطلاق والتقييد [٢] .

*****

(١) انظر : الواسطية لابن تيمية وشرحها لابن العثيمين ص (٦٠٦ ، ٦٠٧) .

(٢) شرح الواسطية لابن العثيمين ص(٦٠٧) .

٧- القول في الإيمان زيادته ونقصانه

وأما القولُ في الإيمان هل هو قولٌ وعملٌ ؟ وهل يزيدُ ويَنْقُصُ ؟ أم لا زيادةَ فيه ، ولا نُقْصَانَ ؟

فإنَّ الصوابَ فيه : قولُ من قالَ : « هو قَوْلٌ وعَمَلٌ ، يَزيـدُ ويَـنْقُصُ » ، وبه جاءَ الخبرُ عن جماعةٍ من أصحابِ رسول الله ﷺ وعليه يمضي أهلُ الدينِ ، والفضلِ .

٨ ـ حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سألنا أبا عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله ، عن الإيمان في معنى الزيادةِ والنقصانِ ؟ فقال حدثنا الحسن بن موسى الأَشْيَبَ ، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخَطْمِيِّ عن أبيه ، عن جده عمر بن حبيب قال : «الإيمانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ» فقيل : وما زيادتهُ؟ وما نُقْصَانُه ؟ فقال : « إِذَا ذَكَرْنَا اللهَ فَحَمِدْنَاهُ وَسَبَّحْنَاهُ ، فَذَلِكَ زِيَادَتُه ، وإذا غَفَلْنَا وَضيَّعْنا ونَسِينَا فذلك نُقْصَانُه » [(١)] .

٩- حدثنا علي بن سهل الرملي ، حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت الأَوْزَاعي ، ومالك بن أنس ، وسعيد بن عبد العزيز ـ رحمهم الله ـ يُنْكِرُون قولَ من يقولُ : «إنَّ الإيمَانَ إقرارٌ بِلاَ عَمَلٍ » ويقولون : «لا إيمَانَ إلا بِعَمَلٍ ،

---

(١) **إسناده لا بأس به** : رواه ابن أبي شيبة في المصنف [٣٠٣٢٧] ، وفي الإيمان (١٤) ، وعبد الله بن أحمد في السنة (٦٢٤) والآجري في الشريعة (٢٤٠،٢٣٩) واللالكائي (١٧٢١) ، وابن بطة في الإبانة (١١٣١) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧/ ٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦) (١/ ٧٧) .

و أبو جعفر الخطمي عمير بن يزيد بن حبيب الأنصاري (ثقة) قال عبد الرحمن بن مهدي كان أبو جعفر وأبوه وجده قومًا يتوارثون الصدق بعضهم عن بعض «تهذيب الكمال للمزي» (٢٢/ ٣٩٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ٩٦) .

ولا عَمَلَ إلا بإيمانٍ »[١].

التعليق :

الإيمان في اللغة : الإقرار بالشيء عن التصديق به .

وفي الشرع: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح والأركان.

قال ابن أبي زمنين :

« ومن قول أهل السنة : أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح ، على نية حسنة وإصابة السُّنَّة » . اهـ[٢].

وقال الحسن البصري :

« الإيمان قول ، ولا قول إلا بعمل ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا قول وعمل ونية إلا بسنَّة »[٣].

وقال الشافعي :

« وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم؛ أنَّ الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر »[٤].

فالإيمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة .

(١) إسناده صحيح: رواه اللالكائي (١٥٨٦) وتدليس الوليد بن مسلم لا يضر لأنه قد صرح بالتحديث ، فزالت بذلك شبهة تدليه وقد جعله الحافظ بن حجر في المرتبة الرابعة « من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل» طبقات المدلسين ص ٥١ ط مكتبة المنار ـ عمان .

(٢) أصول السنة ص(٢٠٧) .

(٣) سنده صحيح : رواه الآجري في الشريعة (٢٨١) .

(٤) الأم للشافعي ، باب النية في الصلاة واللالكائي (١٥٩٣) .

فقول القلب: هو العلم والتصديق والمعرفة والإقرار .

فهذا قول القلب ، وأما عمل القلب واللسان والجوارح ، فدليله قول النبي ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** » (١) .

فهذا قول اللسان وعمله ، وعمل الجوارح ، والحياء عمل قلبي وهو : « انكسار يصيب الإنسان ويعتريه عند وجود ما يستلزم الحياء » .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة:١٤٣] .

وقال الإمام أحمد : « جعل صلاتهم إيمانًا فالصلاة من الإيمان » (٢) .

قال المفسرون : أي صلاتكم إلى بيت الـمَقْدِس، فسمى الله تعالى الصلاة إيمانًا مع أنها عمل جوارح وعمل قلب وقول لسان .

والأعمال شرط كمال عند أهل السنة خلافًا للمعتزلة حيث جعلوا الأعمال شرط صحة وهذا باطل ، بل هي شرط كمال إجمالاً (٣) .

قال الحافظ ابن حجر : « اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان فأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله . ومن هنا نشأ القول بالزيادة والنقص » .اهـ (٤) .

---

(١) رواه البخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) سنده صحيح : رواه الخلال (١٠٣٤) .

(٣) قال العلامة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر البراك ، في تعليقه على كلام الحافظ ابن حجر في الفتح : « ولا أعلم أحدًا من أئمة السلف أطلق القول بأن الأعمال شرط أو ليست شرطًا لصحة الإيمان أو كماله ، وإنما المأثور المشهور عنهم قولهم: «الإيمان قول وعمل» أو «قول وعمل ونية» يقصدون بذلك الرد على المرجئة الذين أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان وخصوا الإيمان بالتصديق أو التصديق والإقرار باللسان » اهـ . هامش فتح الباري (١/ ٩٤، ٩٥) .

(٤) فتح الباري (١/ ٤٦) .

والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى : « ومن أصول أهل السنة والجماعة أنَّ الدين والإيمان قول وعمل : قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ». اهـ [1] .

الأدلة من القرآن :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢] .

قال ابن بطة في تفسير الآية : «يريد لازداد إيمانًا إلى إيمانه بذلك جاء التفسير» [2] .

قال ابن كثير : « وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأئمة بل قد حكي الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد » .اهـ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤] .

قال ابن كثير : « وهذه الآية الكريمة من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء بل قد حكي الإجماع على ذلك غير واحد » [4] .

---

(١) العقيدة الواسطية ص(٥٧٣) .

(٢) الإبانة (٢/ ٨٣٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥٢) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢].

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٤] .

عن ابن عباس في قوله : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ ﴾ [الفتح:٤] قال : « بعث الله نبيه رسول الله ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة ، فلما صدقوا به زادهم الزكاة ، فلما صدقوا به زادهم الحج ، فلما صدقوا به زادهم الجهاد ، ثم أكمل لهم دينهم فقال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ [المائدة:١٣] (١) .

ومن السنة :

١- عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي : إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردل** » (٢) .

٢- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحرير ، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته** » (٣) .

٣- عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) رواه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٥٣) .

(٢) رواه مسلم (٥٠) .

(٣) رواه مسلم (١١٧) .

« **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا** »[(١)].

٤ـ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان** »[(٢)].

ومن الآثار:

عن عبد الله بن عكيم قال: سمعت ابن مسعود في دعائه يقول: « اللهم زدنا إيمانًا ويقينًا وفقهًا »[(٣)].

عن جندب قال: « كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حَزَاوِرَةٌ[(*)] فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا »[(٤)].

ومن أقوال الأئمة:

قال ابن بطة:

« ففي بعض هذه الأخبار والسنن والآثار، وما قد ذكرته في هذا الباب ما أقنع العقلاء وشفاهم، وأعلمهم أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال الذاكية والأخلاق الفاضلة تزيد فيه وتنميه وتعلّيه وأن الأفعال

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (١١٦٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ٢٤٨)، ابن حبان (١٣١١)، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٨٥/ ١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٤)، وصحيح الجامع (٢١١٠).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، والترمذي (٢٥٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٢٩).

(٣) **سنده صحيح**: رواه اللالكائي (١٧٠٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٧٩٧)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١/ ٤٨): وإسناده صحيح.

(*) فتيان حَزَاوِرَةٌ: هو الذي قارب البلوغ، وهو أيضًا الغلام القوي، انظر: لسان العرب (٤/ ١٨٥)، تاج العروس (١/ ٢٦٨٦) وغيرهما.

(٤) **سنده حسن**: رواه اللالكائي (١٧١٥)، وابن ماجة (٦١)، وابن منده في الإيمان (٢٠٨).

الخبيثة والأخلاق الدنية والفواحش تمحقة وتفنيه وتسلب الإيمان من فاعلها وتعريه» [١].

قال ابن أبي زمنين : « ومن قول أهل السنة أن الإيمان درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص ولولا ذلك استوى الناس فيه ولم يكن للسابق فضل على المسبوق وبرحمة الله وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة وبالزيادة فيه يتفاضلون في الدرجات ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء:٢١] ومثل هذا في القرآن الكريم كثير [٢].

وقال أبو عثمان الصابوني : « ومذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» [٣].

قال ابن تيمية : « وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» [٤].

أورد الذهبي في ترجمة الإمام الحافظ المقرئ أبي عمرو الداني أبياتًا في العقيدة وكان منها :

وبعد الإيمان قول وعمل ونية عن ذاك ليس ينفصل
فتارة يزيد بالتشمير وتارة ينقص بالتقصير [٥]

مناقشة المخالفين لأهل السنة في القول بزيادة الإيمان ونقصانه :

قال ابن العيثمين ـ رحمه الله تعالى : « وخالف أهل السنة والجماعة في القول

(١) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٦٤) ط دار الكتب العلمية

(٢) أصول السنة لابن أبي زمنين ٢١١ .

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦٤ .

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٣) .

بالزيادة والنقصان طائفتان :

الطائفة الأولى : المرجئة قالوا : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص لأن الأعمال ليست من الإيمان حتى يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها ، فالإيمان : هو إقرار القلب ، والإقرار لا يزيد ولا ينقص .

ونحن نرد عليهم فنقول :

أولا : إخراجكم الأعمال من الإيمان ليس بصحيح فإن الأعمال داخلة في الإيمان وقد سبق ذكر الدليل .

ثانيًا : قولكم : إن الإقرار بالقلب لا يختلف زيادة ونقصًا : ليس بصحيح بل الإقرار بالقلب يتفاضل ، فلا يمكن لأحد أن يقول : إن إيماني كإيمان أبي بكر !! بل يتعدى ويقول : إن إيماني كإيمان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام !! ثم نقول : إن الإقرار بالقلب يقبل التفاضل ، فإقرار القلب بخبر الواحد ليس كإقراره بخبر اثنين ، وإقراره بما سمع ليس كإقراره بما شاهد، ألم تسمعوا قول إبراهيم : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة :٢٦٠] .

فهذا دليل على أن الإيمان الكائن في القلب يقبل الزيادة والنقص .

ولهذا قسم العلماء درجات اليقين ثلاثة أقسام :

« علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين» قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾

[التكاثر :٥ـ٧]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الحاقة :٥١] .

الطائفة الثانية :

المخالفة لأهل السنة طائفة الوعيدية وهم الخوارج والمعتزلة ، وسموا وعيديه ؛ لأنهم يقولون بأحكام الوعيد دون أحكام الوعد .

أي : يغلبون نصوص الوعيد على نصوص الوعد ، فيخرجون فاعل الكبيرة من الإيمان ، لكن الخوارج يقولون : إنه خارج من الإيمان داخل في الكفر ، والمعتزلة يقولون : خارج من الإيمان غير داخل في الكفر بل هو في منزلة بين منزلتين . أهـ [١] .

*****

(١) شرح العقيدة الواسطية ص (٥٧٨، ٥٧٩) .

أسباب زيادة الإيمان

من أسباب زيادة الإيمان :

١ـ تعلُّم العلم النافع :

إنَّ أهمَّ وأنفع أسباب زيادة الإيمان: تعلم العلم النافع؛ علم الشريعة المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال ابن حجر :

(والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلّف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه)[1] .

قال تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[الحج:٥٤] .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(ولهذا يقال : العلم علمان : علم في القلب وعلم على اللسان، فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان هو حجة الله على عباده)[2] .

---

(١) فتح الباري (١/ ١٤١) .

(٢) الفتاوى (٧/ ٢٣) وهذا من كلام الحسن البصري رواه الدارمي (١/ ١٠٢) .

وقال ابن رجب :

(فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيماً ، ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال في الدنيا وشبعت به فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا .. وأوجب له علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه)[١].

. وهذا زيادة إيمان .

ومن أبواب العلم الشرعي التي تحصل بها زيادة الإيمان :

(ا) قراءة القرآن الكريم وتدبره :

قال ابن سعدي :

(ويقويه من وجوه كثيرة ، فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كثير فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره)[٢].

وقال محمد رشيد رضا :

(واعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والعمل بأمره ونهيه .

فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمى وتترتب عليه أثاره من

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلق بتقديم وتأخير في النقل ص (٤٦) .

(٢) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص ٢٧ .

الأعمال الصالحة وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه ، ولا فتحوا الأقطار ومصر والأمصار ، واتسع عمرانهم وعظم سلطانهم إلا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون النبي ويصدونه عن تبليغ دعوة ربه إلا بمنعه من قراءة القرآن على الناس ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت:٢٦] .

وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلاَّ بهجر تدبُّر القرآن وتلاوته والعمل به) [١] .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال : (.. **والقرآن حجة لك أو عليك**) [٢] .

وقال قتادة (لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان) [٣] .

فالقرآن حجَّة لك ويزيد في إيمانك إن عملت به وحجة عليك وينقص إيمانك إن فرّطت به وأهملت حدوده .

قال ابن القيم :

(إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه) .

(ب) معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى :

---

(١) مختصر تفسير المنار (٣/ ١٧٠) ط المكتب الإسلامي .

(٢) رواه مسلم (٢٢٣) .

(٣) الفوائد ص ٥ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة** »[١] .

قال الأصيلي :

(وليس المراد بالإحصاء عدها فقط لأنه قد يعدها الفاجر وإنما المراد العمل بها)[٢] .

وقال ابن سعدي مبيناً معنى أحصاها الواردة في الحديث :

(أي من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد الله بها دخل الجنة والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون ، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها)[٣] .

فمن عرف الله هذه المعرفة كان من أقوى الناس إيماناً وأشدهم طاعة وتعبداً لله وأعظمهم خوفاً ومراقبة له سبحانه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر:٢٨] .

قال ابن كثير :

(أي : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٠) ومسلم (٢٦٧٧) .
(٢) فتح الباري (١١/ ٢٦٦) .
(٣) التوضيح والبيان لشجرة الأيمان ص (٢٦) .

كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر)[١] .

قال أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكي :

(من كان بالله أعرف كان له أخوف)[٢] .

٢ـ التأمل في آيات الله الكونية :

فإنَّ التأمّل فيها والنظر في مخلوقات الله المتنوعة العجيبة من سماء وأرض وشمس وقمر وكواكب ونجوم وليل ونهار وجبال وأشجار وبحار وأنهار وغير ذلك من مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى لمن أعظم دواعي الإيمان وأنفع أسباب تقويته .

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان:٦١،٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٦٤] .

قال عثمان بن مرزوق القرشي :

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥٣) .

(٢) الرسالة القشيرية ص (١٤١) .

(فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش سبل متصلة إلى معرفته تعالى وحجج بالغة على أزليته والكون جميعه ألسن ناطقة بوحدانيته والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المتبصرون على قدر بصائرهم)[١].

وقال ابن القيم :

(وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه فبهذا تعّرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته)[٢].

٣ـ أن يجتهد المسلم في القيام بالأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى وأن يكثر منها ويداوم عليها .

قال ابن تيمية رحمة الله تعالى :

(وكمال الإيمان هو فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله، فإذا ترك بعض المأمور وعوض عنه ببعض المحظور كان في ذلك من نقص الإيمان بقدر ذلك)[٣].

وقال ابن العثيمين رحمه الله تعالى :

(ولزيادة الإيمان أسباب منها : .... فعل الطاعة فإن الإيمان يزداد به

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٣٠٧) .

(٢) مفتاح دار السعادة ص (٢٠٤) .

(٣) الفتاوى (٢٧/ ١٧٢) .

بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته فكلما كان العمل أحسن كانت زيادة الإيمان به أعظم ، وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة ، وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم ، وأما كثر العمل فإن الإيمان يزداد بها، لأنَّ العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته) [١].

٤ـ وسبب أخير :

قال ابن سعدي :

(فإنه كما أنه لا بد في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له فلابد مع ذلك دفع الموانع والعوائق وهي الإقلاع عن المعاصي والتوبة مما يقع منها وحفظ الجوارح كلها عن المحرمات ومقاومة فتن الشبهات المضعفة لإرادات الإيمان التي أصلها الرغبة في الخير ومحبته والسعي فيه ، لا تتّم إلاَّ بترك إرادات ما ينافيها من رغبة النفس في الشر ومقاومة النفس الأمارة بالسوء فمتى حُفظ العبد من الوقوع في فتن الشبهات وفتن الشهوات تم إيمانه وقوى يقينه) [٢].

*****

(١) فتح رب البرية ص (٦٥) .

(٢) التوضيح والبيان ص (٣٧) .

أسباب نقص الإيمان

١ـ الجهل وهو ضد العلم :

فهذا من أعظم أسباب نقص الإيمان كما أن العلم من أعظم أسباب زيادته فالمسلم العالم لا يؤثر محبة وفعل ما يضره ويشقى به ويتألم به على ما فيه نفعه وفلاحه وصلاحه أما الجاهل فإنه لفرط جهله وقلة علمه فإنه قد يؤثر مثل هذه الأشياء على ما فيه فلاحه وصلاحه وذلك لانقلاب الموازين عنده ولضعف التصور فيه ، فالعلم أصل لكل خير والجهل أصل لكل شر .

ومحبة الظلم والعدوان وارتكاب الفواحش واقتراف المناهي سببه الأول: هو الجهل، وفساد العلم: هو السبب الرئيسي والأول في فساد الأعمال ونقص الإيمان .

قال تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٨] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ [الزمر:٦٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وسبب ذلك أنَّ العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار)[١] .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص (٧٨) .

٢- الغفلة والإعراض والنسيان :

فإن هذه الأمور الثلاثة سبب عظيم من أسباب نقص الإيمان فمن اعترته الغفلة وشغله النّسيان وحصل منه الإعراض نقص إيمانه وضعف بحسب توافر هذه الأمور الثلاثة أو بعضها وأوجبت له مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه .

٣- فعل المعاصي وارتكاب الذنوب :

قال ابن العثيمين - رحمه الله تعالى :

(وأما نقص الإيمان فله أسباب : فعل المعصية فينقص الإيمان بحسب جنسها وقدرها والتهاون بها وقوة الداعي إليها أو ضعفه ، فأما جنسها وقدرها : فإنَّ نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر ، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محرَم ونقصه بمعصيتين أعظم من نقصه بمعصية واحدة وهكذا .

وأما التهاون بها :

فإنَّ المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله تعالى شديد الخوف منه لكن فرطت منه المعصية .

وأما قوة الداعي إليها :

فإن المعصية إذا صدر ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها ولذلك كان استكبار الفقير وزني الشيخ أعظم من استكبار الغني وزني الشاب كما في الحديث « **ثلاثة لا يكلمهم**

الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » وذكر منهم « الأشيمط الزاني والعائل المستكبر » لقلة دواعي تلك المعصية فيهما [(١)].

مسائل في الإيمان :

ـ المسألة الأولى : الاستثناء في الإيمان :

في المسألة ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول الجهمية والمرجئة تحريم الاستثناء في الإيمان .

القول الثاني : قول الأشاعرة ومن وافقهم وجوب الاستثناء في الإيمان .

القول الثالث : قول أهل السنة قاطبة جواز الاستثناء في الإيمان .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل : أنا مؤمن إن شاء الله : فالناس فيه على ثلاثة أقوال :منهم من يوجبه ، ومنهم من يحرمه ، ومنهم من يُجَوِّزُ الأمرين باعتبارين وهذا أصح الأقوال) اهـ [(٢)].

وقال ابن العثيمين ـ رحمه الله تعالى :

(والقول الثالث : التفصيل فإن كان الاستثناء صادراً عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا مُحَرَّم بل كُفْر ، لأن الإيمان جَزمٌ والشكُ يُنَافِيه وإن كان صادراً عن خوف تزكيه النفس والشهادة لها بتحقق الإيمان قولاً وعملاً واعتقاداً فهذا واجب خوفاً من هذا المحظور) اهـ [(٣)].

---

(١) فتح رب البرية ص (٦٥) والحديث (صحيح) رواه الطبراني (٢/ ٣٥١) والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٢٠) .

(٢) الإيمان ص (٤١٠) .

(٣) تلخيص الحموية ص (١٠٨/ ١٠٩) .

وقال الشيخ عبد الرازق بن عبد المحسن البدر :

وأما مأخذ السلف في الاستثناء ووجه استثنائهم في الإيمان ، فالمتأمل لأقوالهم الواردة في ذلك يجد أنهم عندما كانوا يستثنون يلحظون أموراً خمسة :

١ـ فالمأخذ الأول :

للسَّلف في استثنائهم في الإيمان هو اعتبارهم أن الإيمان المطلق يتضمّن فعل ما أمر الله به عبده كله ، وترك المحرمات كلها ، فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار فهو شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله ولا يدَّعى مسلم عاقل هذا لنفسه.

لهذا كان السلف يستثنون مخافة واحتياطاً أن لا يكونوا كملوا الأعمال وأتوا بها على وجهها المطلوب فقول : أنا مؤمن عندهم كقول أنا وليّ أو أنا تقيّ ، ولا يجزم أحد أنه كمل مراتب الولاية إلا من خسف عقله ، وقل خوفه ، فكذلك لا يجزم أنه كمل مراتب الإيمان وأتم درجاته ، فعندئذ لزمه الاستثناء في إيمانه مخافة واحتياطاً .

فهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون في الإيمان لأن الإيمان عندهم قول وعمل ، والقول كل يجزم أنه أتى به ، وأما العمل فلا ، إذاً الناس متفاوتون في القيام به تفاوتاً عظيماً وأقوال السلف في هذا كثيرة .

قال الإمام أحمد :

(أذهب إلى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الإيمان ؛ لأن الإيمان قول وعمل والعمل الفعل ، جئنا بالقول ونخشى أن نكون قد فرطنا في العمل فيعجبني أن نستثنى في الإيمان بقول : أنا مؤمن إن شاء الله) [١] .

---

(١) رواه الخلال في السنة (٣/ ٦٠٠) وابن هانئ في مسألة (٢/ ١٦٢) وانظر الفتاوى (٧/ ٤٤٧) .

وقال : (لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحاً أن تقول لا إله إلا الله إن شاء الله ولكن الاستثناء على العمل)[١].

وقال الآجري :

١ـ هذا طريق الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان عندهم أن الاستثناء في الأعمال لا يكون في القول والتصديق بالقلب، وإنما الاستثناء في الأعمال الموجبة لحقيقة الإيمان ، والناس عندهم على الظاهر مؤمنون به يتوارثون ، وبه يتناكحون ، وبه تجري أحكام ملة الإسلام ولكن الاستثناء منهم على حسب ما بيناه لك وبينه العلماء من قبلنا و روى في هذا سنن كثيرة)[٢].

٢ـ وأما المأخذ الثاني :

فهو الاستثناء بالنظر إلى تقبل الأعمال من الله تعالى إذ إن من قام بالعمل وأتى به لا يدري هل تقبل منه أو لا ؟

قال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠١] .

وقد سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ النبي ﷺ عن هؤلاء فقالت : يا رسول الله ، أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعذب ؟ قال :

« لا يا ابنة الصديق ، ولكن الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا

---

(١) رواه الخلال في السنة (٣/ ٦٠١) .

(٢) الشريعة للآجري (١/ ٢٩٧) ط قرطبة .

يقبل منه » [١].

وهكذا دأب السلف الصالح من صحابة وتابعين يقومون بالأعمال الكثيرة الجليلة ، ثم يخافون ألا تكون قد تقبلت منهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وخوف من خاف من السلف أن يتقبل منه لخوفه أن يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور ، وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم أنا مؤمن إن شاء الله ، وصليت إن شاء الله ، لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به ، لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق) [٢].

(وسُئل ابن المبارك فقيل له : إنَّ قوماً يقولون : إن سفيان الثوري حين كان يقول إن شاء الله كان ذاك منه شك فقال ابن المبارك : أترى سفيان كان يسبقني في وحدانية الرب أو في محمد ﷺ إنما كان استثناؤه في قبول إيمانه وما هو عند الله [٣].

وقد نقل الإمام أحمد عن سليمان بن حرب أنه كان يستثنى ويحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندري يتقبل منا أو لا ؟ [٤].

٣ـ المأخذ الثالث : في الاستثناء عند السلف هو (البعد عن تزكية النفس) وليس هناك تزكية للنفس وراء الشهادة لها بالإيمان ، الذي قال الله في وصف

---

(١) (صحيح) رواه الترمذي (٣١٧٥) ابن ماجه (٤١٨) (الحاكم) (٢/ ٣٩٣) الحميدي في مسنده (١/ ١٣٢) وأحمد في مسنده (٦/ ١٥٩ ، ٢٠٥) [الصحيحة] (١/ ٢٥٥) .

(٢) الفتاوى (٧/ ٤٩٦) وانظر الصحيحة (١/ ٢٥٧) .

(٣) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٦٧٠) .

(٤) رواه الخلال في السنة (٣/ ٥٩٧) ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٧٣) .

أهله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ..... ﴾

[الأنفال:٢_٤]

فمن قال عن نفسه إنه مؤمن ، فقد زكاها بأعظم تزكية ونعتها بأكمل الصفات وأجملها والله قد نهى عن ذلك في محكم تنزيله قال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم:٣٢] .

قال الحسن في معنى الآية : (علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلي ما هي صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرئوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها) [١].

فإذا علم أنَّ الله قد نهى عباده عن الثناء على أنفسهم وتزكيتها فأي وصف وثناء أبلغ من الثناء عليها بالإيمان وأي تزكية أعظم من هذا يقول الخليل النحوي :

(إذا قلت أني مؤمن فأي شيء بقى) [٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(فإذا قال الرجل : أنا مؤمن بهذا الاعتبار[٣] فقد شهد لنفسه بأنه من الأبرار المتقين القائمين بفعل جميع ما أمروا به ، وترك كل ما نهوا عنه ، فيكون من أولياء الله وهذا من تزكية الإنسان لنفسه ، وشهادته لنفسه بما لا يعمل ، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال ولا أحد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالإيمان كشهادته

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٥٣) .

(٢) رواه الخلال في السنة (٣/ ٥٦٨) وعبد الله في السنة (١/ ٣١٦) اللالكائي (٥/ ٩٦١) .

(٣) أي باعتبار أن الإيمان يتضمن فعل كل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه) .

لنفسه بالجنة إذا مات على هذه الحال وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون) [(١)].

٤ـ المأخذ الرابع :

هو أن الاستثناء يجوز في الأمور المتيقنة التي لا شك فيها وقد جاءت السنة بمثل هذا لما فيه من الحكمة .

عن محمد بن الحسن بن هارون قال : سألت أبا عبد الله عن الاستثناء في الإيمان ؟ فقال : نعم الاستثناء على غير معنى شك مخافةً واحتياطاً للعمل ، وقد استثنى ابن مسعود وغيره ، وهو مذهب الثوري قال الله عز وجل : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح:٢٧] وقال النبي ﷺ : « **أني لأرجو أن أكون أتقاكم لله** » [(٢)] وقال في البقيع : « **عليه تبعث إن شاء الله** » [(٣)].

قال ابن تيمية :

(فقد بين أحمد أنه يستثني مخافةً واحتياطاً للعمل ، فإنه يخاف أن لا يكون قد كمل المأمور به فيحتاط بالاستثناء وقال على غير معنى شك يعني من غير شك مما يعلمه الإنسان من نفسه ، وإلا فهو يشك في تكميل العمل الذي خاف أن لا يكون كمله ، فيخاف من نقصه ولا يشك في أصله) [(٤)].

وقال حماد بن زيد : (يسمُّوننا الشُّكَّاكَ والله ما شككنا في ديننا قط ولكن

(١) (٧/ ٤٦٦) الفتاوى .

(٢) رواه مسلم (١١١٠) .

(٣) (صحيح) رواه ابن ماجة (٤٢٦٨) والخلال في السنة (٤/ ٥٩٣) ابن أبي يعلي في طبقات الحنابلة (١/ ٢٨٩) .

(٤) الفتاوى (٧/ ٤٥٠) .

جاءت أشياء ، أليس ذكر اليسير من الرياء شرك ، فأيُّنا لم يراء ؟) [١] .

٥ـ المأخذ الخامس :

. وهو النظر إلى ما يختم به ، وأنَّ المسلم لا يدري بم يُخْتَمُ له وكيف تكون خاتمته ، فقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فيستثنى خوفاً من سوء الخاتمة ويسأل الله حسن الختام والثبات على الإيمان إلى المهات .

عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ، يصرفه حيث يشاء** » ثم قال رسول الله ﷺ : « **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك** » [٢] .

وعن عائشة قالت دعوات كان رسول الله ﷺ يكثر يدعو بها :

« **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » قالت : فقلت يا رسول الله ، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء ؟ فقال : « **إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ، فإذا شاء أزاغه وإذا شاء أقامه** » [٣] .

قال أبو إسماعيل الصابوني رحمه الله :

(ويعتقد ويشهد أصحاب الحديث أن عواقب العباد مبهمة ، لا يدري أحدٌ بمَ يُخْتَمُ له، ولا يحكمون لواحد بعينه أنه من أهل الجنة ، ولا يحكمون على أحد بعينة أنه من أهل النار ؛ لأنَّ ذلك مغيب عنهم لا يعرفون على ما يموت عليه الإنسان ، أعَلَى إسلام أم على كفر ، ولذلك يقولون إنا مؤمنون إن شاء الله ،

---

(١) رواه عبد الله في السنة (١/ ٣٤٧) (٧٤٣) بسند رجاله ثقات .

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤) .

(٣) (صحيح) رواه الإمام أحمد (٦/ ٩١) و صححه الألباني بشواهده ، (الصحيحة / ٢٠٩١) .

أي من المؤمنين الذي يختم لهم بخير إن شاء الله)[١].

قال ابن تيمية :

(واستثنوا - أيضاً - أي السلف لعدم علمهم بالعاقبة والإيمان النافع هو الذي يموت المرء عليه)[٢].

ومن ألفاظ السلف في الاستثناء :

١- استثناؤهم بقول: (إن شاء الله) .

قال جرير بن عبد الحميد (كان الأعمش ومنصور ومغيرة وليث وعطاء بن السائب وإسماعيل بن خالد وعمار بن القعقاع والعلاء بن المسيب وابن شبرمة وسفيان الثوري ويحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون :

(نحن مؤمنون إن شاء الله ، ويعيبون على من لم يستثن)[٣].

وسئل الإمام أحمد عن الرجل يقال له : أمؤمن أنت ؟ قال : سؤاله إيّاك بدعة يقول : إن شاء الله)[٤].

٢- استثناؤهم بقول : (أرجو) :

(عن إبراهيم النخفي قال : قال رجل لعلقمة : أمؤمن أنت ؟ قال : أرجو)[٥].

---

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص (٨٢) .

(٢) الفتاوى (٧/ ٤٢٧) .

(٣) (سنده صحيح) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٦٩٧) والآجري في الشريعة (٣١٣)، الإبانة (٢/ ٨٧١) .

(٤) رواه الخلال في السنة (٣/ ٦٠٢) .

(٥) (صحيح) رواه أبو عبيد في الإيمان ص(٦٨) وابن أبي شيبة في الإيمان ص (٩) وفي المصنف (١١/ ١٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٤٠) والآجري في الشريعة (٣٠٧) .

وسئل أحمد بن حنبل عمن قال له : أنت مؤمن ؟ فقال : سؤاله إياك بدعة وقل أنا مؤمن أرجو)[١] .

٣- استثناؤهم بقول : (آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله) :

عن علقمة بن الأسود قال : قال رجل عند عبد الله : إني مؤمن قال : قل إني في الجنة ولكنا نقول : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله)[٢] .

٤- استثناؤهم بقول : (لا إله إلا الله) :

عن إبراهيم النخعي قال : (إذا قيل لك : أمؤمن أنت ؟ فقل : لا إله إلا الله)[٣] .

ـ وجميع هذه النقول تدل بوضوح على أن الاستثناء في الإيمان سنة ماضية عند السلف الصالح بصيغ مختلفة مدارها على البعد عن تزكية النفس والشهادة لها بتكميل الأعمال وإتمام الإيمان) اهـ[٤] .

ـ المسألة الثانية : حكم الاستثناء في الإسلام :

الصحيح عدم الاستثناء أن نقول أنا مسلم بدون استثناء وهذا هو المشهور عند أهل الحديث وسلف الأمة في هذه المسألة .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى :

(والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الإسلام وهو المشهور عن أحمد رضي الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء) اهـ[٥] .

(١) رواه الخلال في السنة (٣/ ٦٠٢) .
(٢) رواه الخلال في السنة (٣/ ٦٠١) .
(٣) (صحيح)رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٢١) الإبانة (٢/ ٨٧٨) الآجري في الشريعة (٣٢٣).
(٤) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص (٤٦٣ إلى ٤٩٩) .
(٥) الفتاوى (٧/ ٤٣) .

وذلك للآتي :

١- ورد ما يرشد إلى ذلك في نصوص الشرع المطهر :

قال تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وهذه الآية بها أحتج بها أحمد بن حنبل وغيره أنه يستثنى في الإيمان دون الإسلام وأن أصحاب الكبائر يخرجون من الإيمان إلى الإسلام) .

قال الميموني : سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في أنا مؤمن إن شاء الله ؟ فقال أقول : مؤمن إن شاء الله وأقول : مسلم ولا أستثني قال : قلت لأحمد تفرق بين الإسلام والإيمان ؟ فقال : لي نعم فقلت له : بأي شيء تحتج ؟ قال لي : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات:١٤] وذكر أشياء [(١)] .

٢- أنَّ كل من نطق بالشهادتين صار بذلك مسلماً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ويكون متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الشرع الجارية على المسلمين، وهذا القدر كان أحمد يجزم به بلا استثناء في ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به بلا

(١) الفتاوى (٧/ ٢٥٣) وأثر الميموني عن أحمد رواه ابن منده في الإيمان (١/ ٣١١) والخلال في السنة (٣/ ٦٠٤ أثر ١٠٧٧) .

استثناء فيه) [١] .

عن هشام الأزدي عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين :

(أنهما كان يقولان مسلم ويهابان مؤمن) [٢] .

وقال أبو بكر المروزي : قيل لأبي عبد الله : نقول : نحن المؤمنون ؟ قال : نقول نحن المسلمون [٣] .

وقال الأثرم قلت لأبي عبد الله : فأما إذا قال : أنا مسلم فلا يستثني ؟ فقال : لا يستثني إذا قال أنا مسلم [٤] .

ـ وأما ذكره شيخ الإسلام عن أحمد بن حنبل أن له روايتين في المسألة :

إحداهما : بتجويز الاستثناء في الإسلام فسببه عائد إلى أن للإمام أيضاً روايتين في تعريف الإسلام إحداهما : أنَّ الإسلام هو الكلمة .

والأخرى : أنه أعمال الإسلام الظاهرة كاملة .

فإن أُرِيدَ به الكلمة فلا استثناء وإن أريد به الأعمال الظاهرة كلها فلابد من الاستثناء ، لأن الجزم بفعلها وإتمامها كالجزم بالإيمان سواء . [٥]

ـ المسألة الثالثة : هل الإيمان مخلوق ؟

قال الذهبي رحمه الله تعالى :

(قلت : هذه من مسائل الفضول والسكوت أولى والذي صح عن السلف

---

(١) الفتاوى (٧/ ٤١٥) .

(٢) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٢٢) الخلال في السنة (٣/ ٦٠٣أثره ١٠٧) الإبانة (٢/ ٨٧٤) اللالكائي (٤/ ٨١٥) والآجري (٣١١) بسند فيه ضعف .

(٣) رواه الخلال في السنة (١٠٧٣) والآجري في الشريعة (١٣٩) .

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٧٦) .

(٥) أنظر الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٤١٥ ، ٢٥٩) وزيادة الإيمان ونقصانه ص (٤٩٦/ ٤٩٩) .

وعلماء الأثر أن الإيمان قول وعمل وبلا ريب أن أعمالنا مخلوقة لقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦] فصح أن بعض الإيمان مخلوق ، وقولنا لا إله إلا الله فمن إيماننا ، فتلفظنا بها أيضاً من أعمالنا .

وأما ماهية الكلمة الملفوظة فهى غير مخلوقة لأنها من القرآن أعاذنا الله من الفتن والهوى) .[١]

وقال في تذكرة الحفاظ :[٢]

(وأما مسألة خلق الإيمان وعدمه ففيها بحث ليس هذا موضعه والسكون أولى وأسلم) .

وقال القاضي أبو يعلي :

(واعلم أنه لا يجوز إطلاق القول في الإيمان أنه مخلوق أو غير مخلوق ؛لأن من قال مطلقاً: أنه مخلوق أوهم أن كلام الله وأسمائه وصفاته مخلوقة ومن قال: إنه غير مخلوق أوهم أن أفعال العباد قديمة غير مخلوقة) اهـ [٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وإذا قال : الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟ قيل له : ما تريد بالإيمان ؟

أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه كقوله: (لا إله إلا الله) وإيمانه الذي دل عليه اسم المؤمن فهو غير مخلوق .

أو تريد شيئًا من أفعال العباد وصفاتهم ؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣٠) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٠) .

(٣) مسائل الإيمان ص (٤٥٩) .

فالعباد كلهم مخلوقون وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة ... إلى أن قال : فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل)[١].

ـ المسألة الرابعة : مسألة الأسماء والأحكام :

مسألة (الأسماء والأحكام) هي من المسائل الدقيقة التي ضلت فيها كثير من الأفهام وزلت فيها كثير من الأقدام ، وحادت بسببها فرق كثيرة عن السنة إلى البدعة : إما إلى إفراط وإما إلى تفريط :

وعصم الله عز وجل أهل السنة والجماعة فيها ووفقهم إلى التوسط والاعتدال كما هو شأنهم في سائر مسائل الاعتقاد ويمكن إجمال أصولهم في هذه المسألة على النحو التالي :

ـ **الأول** : أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يُخلَّدونه في النار كما تقول المعتزلة .

ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطي الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم [٢].

ـ **الثاني** : أن البدع متفاوتة في الرتب : فمنها البدع المكفَّرة التي تخرج صاحبها عن الملة ، ومنها ما هو دون ذلك ولا تخرج صاحبها عن الملة [٣].

ـ **الثالث** : أن أي فرقة من فرق أهل البدع والأهواء لا تعد من الثنتين والسبعين فرقة إذا كانت بدعتها مكفَّرة ، كالجهمية الغلاة [٤].

---

(١) الفتاوى (٧/ ٦٦٤) .

(٢) الفتاوى (٣/ ١٥١ ، ١٥٢) .

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٦٧) (٢/ ٣٧) ط دار المعرفة .

(٤) الفتاوى (٣/ ٣٤٨ ، ٣٥٤) (٧/ ٢١٧ ، ٢١٨) الاعتصام (٢/ ١٩٢ ، ٢٠٦) .

ـ **الرابع** : أن حكم الثنتين والسبعين فرقة المخالفة لأهل السنة والجماعة هو حكم أهل الوعيد من أهل الكبائر والمعاصي من هذه الأمة الذين لهم حكم الإسلام في الدنيا ، ويدخلون تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة فإن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم ثم مآلهم إلى الجنة .[(١)]

ـ **الخامس** : أن التكفير حكم شرعي وهو حق لله تعالى وبناء على هذا الأصل ، فإن أهل السنة والجماعة لا يكفِّرون إلا من قام الدليل الشرعي من الكتاب والسنة على كفره ، فلا يكفِّرون أحدا بمحض الهوى كما لا يكفرون مخالفيهم لمجرد المخالفة .[(٢)]

ـ **السادس**: وجوب التفريق بين الإطلاق والتعيين في إصدار حكم التكفير، فقد يكون الفعل أو المقالة كفراً أو يطلق القول بتكفير من قال تلك المقالة أو فعل ذلك الفعل ، فيقال : من قال كذا فهو كافر ، أو من فعل كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو الفعل لا يحكم بكفره ، حتى تقام عليه الحجة الرسالية التي يكفر تاركها وحتى تزال عنه الشبهة .

ولا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو لثبوت مانع .[(٣)]

وأصدق مثال على هذه القاعدة والذي يعد من تطبيقاتها العملية هو تكفير السلف للقائلين بخلق القرآن وإطلاق القول في ذلك ، فيقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر .

---

(١) الفتاوى (٣/ ٣٤٨ ، ٣٥٤) .

(٢) الرد على البكري لابن تيمية ص(٢٥٧/ ٢٥٨) .

(٣) الفتاوى (٣٥/ ١٦٥ ، ١٦٦) (١٠/ ٣٧٠ ، ٣٧٢) .

لكنهم لم يكفروا أحداً بعينه قال هذا القول أو دعا إليه أو حمل الناس عليه بالقوة .

وأول من طبق هذه القاعدة إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل فقد تواتر عنه تكفير من قال بخلق القرآن وامتحن بسبب هذه المسألة وضُرَب وأُذي ومع ذلك فقد دعا للخليفة وغيره ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم .

مع أنهم كانوا يقولون ويدعون إلى القول بخلق القرآن فلو كانوا كفاراً مرتدين عن الإسلام لما دعا واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم .[١]

ـ **السابع** : أن أهل السنة والجماعة يفَّرقون بين حال شخص وآخر ، فليس من أجتهد في مسألة ما وكان قصده الحق فأخطأ ، كم عاند بعد ما تبين له الحق في المسألة وأصر على مخالفة الأدلة والنصوص أو قصر في طلب الحق أو أعرض عن طلبه لسبب من الأسباب فالأول معذور وخطؤه مغفور بخلاف الحالات الأخرى .

قال ابن تيمية :

(وأما التكفير فالصواب أنه من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطأه ، ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهوى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر .

ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب ثم قد يكون فاسقاً وقد تكون له حسنات ترجح على سيئاته) اهـ .[٢]

---

(١) الفتاوى (١٢/ ٤٨٨) .

(٢) الفتاوى (١٢/ ١٨٠) (١٩/ ١٩٠ ، ١٩٢) .

فائدة :

من هم المرجئة ؟

من استقراء النصوص الواردة عن السلف يتبين لنا أن الإرجاء على نوعين :

الأول : الذين يؤخرون أمر عليّ وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ ويسمون المرجئة الأولى .

قال ابن سعد : « كان من المرجئة الأولى الذين يرجئون عليًا وعثمان إلى أمر الله ، ولا يشهدون عليهما بإيمان ولا بكفر »[١] .

وعن قتادة قال : « إنما حدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث »[٢] .

وقد ظهرت المرجئة الأولى كردة فعل للخوارج الذين كفَّروا عثمان وعليًّا ـ رضي الله عنهما .

الثاني : الذين يؤخرون الأعمال عن مسمى الإيمان وهم أصناف .

عن عبد الوهاب بن مجاهد قال : « كنت عند أبي فجاء ولده يعقوب فقال : يا أبتاه ، إن لنا أصحابًا يزعمون أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد ، فقال : يا بني ، ما هؤلاء بأصحابي لا يجعل الله من هو منغمس في الخطايا كمن لا ذنب له »[٣] .

*****

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٨) ابن سعد في الطبقات (٧/ ٣٠٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٧٥) السنة لعبد الله بن أحمد (٦٤٤) ابن بطة في الإبانة (١٢٣٥) اللالكائي (١٨٤١) .

(٣) اللالكائي (٤/ ٤٥٥) ، ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ١٣٠) ، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٥) .

٨- القول في الاسم والمسمَّى

وأمَّا القولُ في الاسْمِ : أهو المُسَمَّى ؟ أم غير المُسَمَّى ؟ فإنَّهُ منَ الحَماقَاتِ الحَادِثَةِ التي لا أَثَرَ فيها فيُتَّبَعُ ، ولا قَوْلَ من إمامٍ فيُسْتَمع ، فالخوضُ فيهِ شَيْنٌ ، والصَمْتُ عَنْهُ زَيْنٌ ، وحَسْبُ امْرِئ من العلم به ، والقَوْلِ فيهِ أن يَنْتَهي إلى قَولِ الله عز وجل ثَنَاؤُهُ الصَادِقُ وهو قوله : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

التعليق :

يثبت أهل السنة والجماعة الصفات لله حقيقة ، ويؤمنون بأن الله متصف بصفة الكلام حقيقة ، وهم لذلك يؤمنون بأن الله سمَّى نفسه وتكلم بهذه الأسماء وأن هذه الأسماء ليست من وضع البشر ، وليست مخلوقة وكذلك هي دالةٌ على الصفات حقيقة .

ويؤمنون بأن أسماء الله الحسنى التي في القرآن من كلامه عز وجل، وكلامه غير مخلوق ؛ ولذلك يقولون : إذا كان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته فهو متضمن لأسمائه الحسنى ، فإذا كان القرآن غير مخلوق ولا يقال : إنه غير الله ، فكيف يقال : إن بعض ما تضمنه -وهو: أسماؤه- مخلوقة وهي غيره [١] .

وقد اتَّفق قول أهل السنة في الرد على من زعم بأن أسماء الله مخلوقة وقال

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨) .

بأن الاسم غير المسمَّى .

ولذلك كان معروفًا عند أئمة أهل السنة مثل الإمام أحمد وغيره إنكارهم على الجهمية الذين يقولون : أسماء الله مخلوقة ، فيقولون الاسم غير المسمى وأسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق [(١)] .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله :

« لسنا نَشُكُّ أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة ، لسنا نشك أن علم الله غير مخلوق فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله ، فلا نشك أنه غير مخلوق وهو كلام الله عز وجل ، لم يزل متكلِّمًا له » [(٢)] .

وقال : « من زعم أن أسماء الله مخلوقة فهو كافر » [(٣)] .

وقال إسحاق بن راهويه : « أفضوا إلى أن قالوا : أسماء الله مخلوقة لأنه كان و لا اسم وهذا الكفر المحض » [(٤)] .

ويُروى عن الشافعي والأصمعي وغيرهما أنه قال : إذا سمعت الرجل يقول : «الاسم غير المسمَّى فاشهد عليه بالزندقة » [(٥)] .

فهذا هو موقف أهل السنة والجماعة من أصل المسألة ومن دعوى من قال بأن أسماء الله مخلوقة وأطلق القول بأن الاسم غير المسمى .

أما موقفهم من القول نفسه أي هل يُقالُ : الاسم هو المسمى أو غير المسمى

---

(١) مجموع الفتاوي (٦/ ١٨٦،١٨٥) .

(٢) اللالكائي (٢/ ٢١١، ٢١٢) ، ومجموع الفتاوي (٦/ ١٨٧) .

(٣) رواه اللالكائي (٣٥١، ٣٥٢) .

(٤) رواه اللالكائي (٣٥١، ٣٥٢) .

(٥) رواه اللالكائي (٢/ ٢١١، ٢١٢) ، ومجموع الفتاوي (٦/ ١٨٧) .

وغير ذلك من الألفاظ .

فلأهل السنة والجماعة تجاه ذلك أربعة مواقف متفقة جميعًا في مضمونها وإن اختلفت في ألفاظها وتعبيراتها وهذه المواقف هي :

الموقف الأول : الإمساك عن القول في المسألة نفيًا وإثباتًا فلا يقال : « الاسم هو المسمى » ولا يقال : « الاسم غير المسمى » .

إذ إن كلا الإطلاقين بدعة فلم يعرف عن أحد من السلف أنه قال : « الاسم هو المسمى بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة والقول بأن الاسم غير المسمى »

هو قول الجهمية والمعتزلة .

وهذا القول ذكره الخلال عن إبراهيم الحربي وغيره وذكره الطبري هنا في هذا الفصل من صريح السنة .

الموقف الثاني : الاسم للمسمى :

وهذا قول أكثر المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيره وهذا الذي دلت عليه النصوص :

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء:١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر:٢٤] .

وقوله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا »[(١)].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله :

« وأما الذين يقولون : « الاسم للمسمى » كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول »[(٢)].

وقال ابن القيم : « والاسم للمسمى ولا يُقال غيره »[(٣)].

الموقف الثالث : الاسم من المسمى :

قال ابن تيمية : « كان في كلام الإمام أحمد أن هذا الاسم من أسمائه الحسنى وتارة يقول : الأسماء الحسنى له »[(٤)].

وهذا القول أيضًا لأبي بكر بن أبي داود السجستاني حيث قال : « من زعم أن الاسم غير المسمَّى فقد زعم أن الله غير الله ، وأبطل في ذلك ؛ لأن الاسم غير المسمى في المخلوقين ؛ لأن الرجل يسمَّى محمود وهو مذموم ويسمى قاسم ولم يقسم شيئًا قط ، إنما الله جل ثناؤه واسمه منه ولا نقول : اسمه هو بل نقول : اسمه منه »[(٥)].

ومقصوده أن الله هو المسمي نفسه بأسمائه الحسنى وأن لها معاني دالة عليها وهذا هو معتقد أهل السنة في أسماء الله كما تقدم ذكره .

وهو يريد بذلك الردَّ على المعتزلة في زعمهم أن الصفات لا تقوم بالذات

---

(١) رواه البخاري (٢٥٨٥) ، ومسلم (٢٦٧٧) .

(٢) مجموع الفتاوي (٦/ ٢٠٧،٢٠٦) .

(٣) شفاء العليل ص(٢٧٧) .

(٤) مجموع الفتاوي (٦/ ١٩٨) .

(٥) روه اللالكائي (٢/ ٢١٢) .

وأن الأسماء لا تدل على الصفات .

الموقف الرابع : الاسم هو المسمى :

وهذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة وإن كان قد أنكره أكثر أهل السنة وممن قال به اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٠٤) والسجزي في رسالته إلى أهل زبيد ص(١٧٩) والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٨٧، ١٨٩) والبغوي في شرح السنة وغيرهم [(١)] .

وهؤلاء جعلوا الاسم ليس هو اللفظ بل هو المراد باللفظ « أي المسمى » فهم يقولون إنك إذا قلت : يا زيد يا عمر فليس مرادُك دعاء اللفظ بل مرادك دعاء المسمى باللفظ وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى [(٢)] .

*****

(١) مجموع الفتاوي (٦/ ١٨٨) .

(٢) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى د/ محمد بن خليفة التميمي ص(٢٨٩، ٢٨٣) .

٩ـ القول في الاستواء

ويَعْلَمُ أنَّ رَبَّهُ هو الذي : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٥ – ٨] .

فمن تجاوزَ ذلكَ فقد، خابَ وخسرَ وضَلَّ وهلكَ ، فليبلغ الشاهدُ منكم أيها الناس مَنْ بَعُدَ مِنَّا فَنَأى أو قَرُبَ فَدَنَا ، أن الذي نَدِينُ اللهَ به في الأشياءِ التي ذكرناها ما بَيَّنَاهُ لَكُم على وصْفِنَا ، فَمَنْ روى عَنَّا خلافَ ذلك ، أو أضافَ إلينَا سِوَاهُ أو نَحَلَنَا في ذلك قولاً غيره فهو كاذبٌ مُفْتَرٍ ، مُتَخَرِّصٌ ، مُعْتَدٍ يَبُوءُ بسخطِ الله ، وعليه غَضَبُ الله ولعنته في الدارَيْن ، وَحَقٌّ على الله أنْ يوردَهُ المَوْرِدِ الذي وَرَّدَ رسولُ الله ﷺ ضُرَبَاءَه ، وأن يُحِلَّهُ المحلَّ الذي أخبرَ به نبيُّ الله ﷺ أن الله ـ سبحانه ـ يُحِلُّ أمثاله على ما أخبرَ ﷺ .

التعليق :

قال أبو سعيد الدنيوري مستملي محمد بن جرير : قرئ على أبي جعفر بن جرير الطبري وأنا أسمع في عقيدته فقال : « وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر »[(١)] .

وأصل العرش في اللغة : السرير الذي يختص به الملك ومعلوم أن السرير الذي يختص به الملك سيكون سريرًا عظيمًا فخمًا لا نظير له[(٢)] .

(١) سنده صحيح : رواه اللالكائي (٣٢٥) ، وقال الألباني في مختصر العلو ص(٢٢٤) : سنده صحيح .
(٢) انظر: شرح الواسطية (٣١٧) قال الأزهريُّ : العَرْشُ في كلام العرب : سرير المَلِكِ . انظر : لسان=

قال ابن كثير :

« وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات »[(١)].

وقال ابن أبي العز الحنفي :

«قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة كما قال النبي ﷺ :

« فإن الناس يصعقون ، فأكون من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور [(٢)]». اهـ [(٣)].

قال تعالى : ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ [الحاقة:١٧] .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

« أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » [(٤)].

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « .. **إذ سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن** »[(٥)].

= العرب لابن منظور [٥/ ٤٢٣] ط دار صادر مادة هزز، وتاج العروس (١/ ٤٢٩٥) ، وغريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٨١) ط الكتب العلمية.

(١) البداية والنهاية (١/ ١٢) .

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٨) ، ومسلم (٢٣٧٤) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٧٨) .

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٧٢٧) ، والخطيب في تاريخه (١٠/ ١٩٥) ، وأبو الشيخ في العظمة (٤٧٨) ، والطبراني في الأوسط (١٧٣٠) ، والذهبي في العلو ص (٧٨) ، وقال : إسناده صحيح ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥١) .

(٥) رواه البخاري (٢٧٩٠) .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله ولا يماثل استواء المخلوقين .

قال ابن القيم :

« إن ظاهر الاستواء وحقيقته هو العلو والارتفاع كما نص عليه جميع أهل اللغة والتفسير المقبول »(١) .

والعبارات التي تدور عليها تفاسير السلف للاستواء : «استقر ، وعلا ، وارتفع ، وصعد » .

قال ابن تيمية : « وإن اختلفت عباراتهم فمقصودهم واحد وهو إثبات علو الله على عرشه » (٢) .

واستواءه تعالى على عرشه بكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى :

عن يحيى بن يحيى قال : «كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله ، ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] فكيف استوى ؟ قال : فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا فأمر به أن يخرج » (٣) .

وقال الذهبي ـ رحمه الله تعالى : « وهو قول أهل السنة قاطبة : أن كيفية

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ١٤٥) .

(٢) مجموع الفتاوي (٥/ ٥٢١) .

(٣) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٦٧)، واللالكائي (٦٦٤) ، والذهبي في العلو (١٤١ مختصر) وقال :« هذا ثابت عن مالك» ، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وجوّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤١٧) .

الاستواء لا نعلقها بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه وأنه كما يليق به ولا نتعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا بل نسكت ونقف كما وقف السلف و نعلم أنه لو كان تأويل لبادر إليه الصحابة والتابعون ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه ولا نعلم يقينًا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا » .ا هـ [١] .

وقال أبو نعيم ـ رحمه الله تعالى :

« وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء الله عليه يقولون بها و يثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه ولا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه » [٢] .

الأدلة على الاستواء :

قال ابن تيمية في الواسطية :

«وقوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ في سبعة مواضع :

ـ في سورة الأعراف قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

ـ وقال في سورة يونس : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [يونس:٣] .

(١) مختصر العلو ص (١٤١، ١٤٢) .

(٢) مختصر العلو ص (٢٦١) فقرة (٣١٦) .

- وقال في سورة الرعد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد:٢] .

- وقال في سورة طه : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] .

- وقال في سورة الفرقان : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الفرقان٥٩] .

- وقال في سورة آلم السجدة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤] .

- وقال في سورة الحديد : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الحديد:٤] » . اهـ [(١)] .

قال ابن تيمية :

« في هذه الآيات الكريمات إثبات استواء الله تعالى على عرشه، وقد دل على هذه الصفة نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة بل على ذلك جميع المؤمنين الأولين والآخرين ». اهـ [(٢)] .

من الآثار الواردة في صفة الاستواء :

١ـ عن ابن مسعود قال : « ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام ، والعرش على الماء ، والله تعالى فوق العرش ، وهو يعلم ما أنتم عليه » [(٣)] .

(١) الواسطية ص (٣٢٥) .

(٢) التسعينية (٢/ ٥٤٥) .

(٣) **إسناده صحيح**: رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٨١) ، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (٧٥) =

٢- قال ابن خزيمة :

« من لم يقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سمواته فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وألقي على بعض المزابل حيث لا يتأذى المسلمون ولا المعاهدون بنتن ريح جيفته ، وكان ماله فيئًا لا يرثه أحد من المسلمين إذا المسلم لا يرث من الكافر كما قال النبي ﷺ » [(١)] .

٣- وقال عثمان بن سعيد الدارمي :

« قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته » [(٢)] .

رد ابن أبي العز الحنفي على الذين نفوا صفة الاستواء :

قال : « كون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويًا للعالي محيطًا به حاملاً له ولا أن يكون الأعلى مفتقرًا إليه ، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ، فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك ، بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل ، وإحاطته عز وجل به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته ، وغناه عن العرش ، وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش ، وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش ، وعدم حصر

= وأبو الشيخ في العظمة (٢٠٥) ، وابن خزيمة في التوحيد(١٥٠) ، والطبراني (٨٩٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٥١) ، واللالكائي (٣/ ٣٩٥) ، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٩) ، والذهبي في العلو (١٠٤ مختصر) وقال الألباني : وسنيد بن داود بإسناد صحيح كما قال ابن القيم في (جيوشه) ص (١٠٠) وسندهم جيد.

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (١١٢) ، والحاكم في معرفة علوم الحديث ص (٨٤) ، وصححه ابن تيمية في الفتوى الحموية ص ٣٥.

(٢) مختصر العلو ص (٢٦٢) .

العرش له ، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق » . اهـ[(١)] .

فالاستواء على العرش لا يستلزم افتقاره إلى العرش ، أو أن يكون العرش حاويًا له سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقال ابن العثيمين :

«وفسره أهل التعطيل بأن المراد به الاستيلاء وقالوا : معنى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤] يعني : ثم استولى عليه ».

واستدلوا لتعريفهم هذا بدليل موجب وبدليل سالب :

أما الدليل الموجب فقالوا : إننا نستدل بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهـــراق

بشر : ابن مروان ، **استوى يعني** : استولى على العراق .

قالوا : وهذا بيت من رجل عربي ، ولا يمكن أن يكون المراد به استوى على العراق يعني علا على العراق لا سيما أنه في ذلك الوقت لا طائرات يمكن أن يعلو على العراق بها .

أما الدليل السلبي : فقالوا : لو أثبتنا أن الله عز وجل مستو على عرشه بالمعنى الذي تقولون ، وهو العلو والاستقرار ، لزم من ذلك أن يكون محتاجًا إلى العرش وهذا مستحيل ، واستحالة اللازم تدل على استحالة الملزوم .

ولزم من ذلك أن يكون جسمًا ؛ لأن استواء شيء على شيء بمعنى علوه

---

(١) شرح الطحاوية ص (٢٥١) ، وانظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٦/ ١٠٠) ، ودرء التعاض (٣/ ٢٦٤) ط دار الكنوز الأدبية ـ الرياض ١٣٩١ هـ تحقيق محمد رشاد سالم .

عليه يعني أنه جسم ، ولزم أن يكون محدودًا ؛ لأن المستوي على الشيء يكون محدودًا إذا استويت على البعير فأنت محدود في منطقة معينة محصور بها وعلى محدود أيضًا .

هذه الأشياء الثلاثة التي زعموا أنها تلزم من إثبات أن الاستواء بمعنى العلو والارتفاع .

والرد عليهم من وجوه :

أولاً : تفسيركم هذا مخالف لتفسير السلف الذي أجمعوا عليه والدليل على إجماعهم أنه لم ينقل عنهم أنهم قالوا به وخالفوا الظاهر ولو كانوا يرون خلاف ظاهره ، لنقل إلينا ، فما منهم أحد قال : إن « استوى » بمعنى « استولى » أبدًا .

ثانيًا : أنه مخالف لظاهر اللفظ ؛ لأن مادة الاستواء إذ تعدت بـ «على» فهي بمعنى العلو والاستقرار ، هذا ظاهر اللفظ ، وهذه مواردها في القرآن في كلام العرب .

ثالثًا : أنه يلزم عليه لوازم باطلة :

١- يلزم أن يكون الله عز وجل حين خلق السماوات والأرض ليس مستوليًا على عرشه لأن الله يقول : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤] . (وثم) تفيد الترتيب ، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله .

٢- أن الغالب من كلمة (استولى) أنها لا تكون إلا بعد مغالبة ولا أحد يغالب الله .

أين المفـــرُ والإلهُ الطالــبُ والأشرمُ المغلوبُ ليسَ الغالبُ

٣- من اللوازم الباطلة أنه يصح أن نقول : إن الله استوى على الأرض والشجر والجبال ؛ لأنه مستول عليها .

وهذه لوازم باطلة ، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم .

أما استدلالهم بالبيت فنقول :

١ - اثبتوا لنا سند هذا البيت وثقة رجاله ، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلاً .

٢ - من هذا القائل ؟ أفلا يمكن أن يكون قاله بعد تغير اللسان ؟ لأن كل قول يستدل به على اللغة العربية بعد تغير اللغة العربية فإنه ليس بدليل ؛ لأن العربية بدأت تتغير حين اتسعت الفتوح ودخل العجم مع العرب فاختلف اللسان وهذا فيه احتمال أنه بعد تغير اللسان .

٣- أن تفسيركم : « استوى بشر على العراق » بـ «استولى» تفسير تعضده القرينة؛ لأنه من المتعذر أن بشرًا يصعد فوق العراق فيستوي عليه كما يستوي على السرير أو على ظهر الدابة فلهذا نلجأ إلى تفسيره بـ « استولى » .

هذا نقوله من باب التنزيل وإلا ، فعندي جواب آخر :

أن نقول : الاستواء في البيت بمعنى العلو ، لأن العلو نوعان :

١ - علو حسي ، كاستوائنا على السرير .

٢- وعلو معنوي ، بمعنى السيطرة والغلبة .

فيكون معنى : « استوى بشر على العراق » يعني : علا علو غلبة وقهر .

وأما قولكم : إنه يلزم من تفسير الاستواء بالعلو أن يكون الله جسمًا .

فجوابه :

كل شيء يلزم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو حق ، ويجب علينا أن نلتزم به ، ولكن الشأن كل الشأن أن يكون هذا من لازم كلام الله ورسوله ؛ لأنه قد يمنع أن يكون لازمًا فإذا ثبت أنه لازم فليكن ولا حرج علينا إذا قلنا به .

ثم نقول : ماذا تعنون بالجسم الممتنع ؟

إن أردتم به أنه ليس لله ذات تتصف بالصفات اللازمة لها اللائقة بها ، فقولكم باطل ؛ لأن لله ذاتًا حقيقية متصفة بالصفات وأن له وجهًا ويدًا وعينًا وقدمًا ، وقولوا ما شئتم من اللوازم التي هي لازم حق .

وإن أردتم بالجسم الذي قلتم يمتنع أن يكون الله جسمًا :

الجسم المركب من العظام واللحم والدم وما أشبه ذلك فهذا ممتنع على الله وليس بلازم من القول بأن استواء الله على العرش علوه عليه .

وأما قولهم : إنه يلزم أن يكون محدودًا .

فجوابه أن نقول بالتفصيل : ماذا تعنون بالحد ؟

إن أردتم أن يكون محدودًا ، أي مباينًا للخلق منفصلاً عنهم كما تكون أرض لزيد وأرض لعمرو، فهذه محدودة منفصلة عن هذه فهذا حق ليس فيه شيء من النقص .

وإن أردتم بكونه محدودًا : أن العرش محيط به ، فهذا باطل وليس بلازم ، فإن الله تعالى مستو على العرش ، وإن كان عز وجل أكبر من العرش ومن غير العرش ولا يلزم أن يكون العرش محيطًا به بل لا يمكن أن يكون محيطًا به ؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء والأرض جميعًا

قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه .

وأما قولهم : يلزم أن يكون محتاجًا إلى العرش .

فنقول : لا يلزم لأن معنى كونه مستويًا على العرش : أنه فوق العرش لكنه علو خاص ، وليس معناه أن العرش يقله أبدًا ، فالعرش لا يقله والسماء لا تقله وهذا اللازم الذي ادعيتموه ممتنع لأنه نقص بالنسبة إلى الله عز وجل وليس بلازم من الاستواء الحقيقي ، لأننا لسنا نقول إن معنى : « استوى على العرش » يعني : أن العرش يقله ويحمله فالعرش محمول ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧] وتحمله الملائكة الآن ، لكنه ليس حاملاً لله عز وجل ، لأن الله سبحانه وتعالى ليس محتاجًا إليه ، ولا مفتقرًا إليه وبهذا تبطل حججهم السلبية .

وخلاصة ردنا لكلامهم من عدة أوجه :

الأول : أن قولهم هذا مخالف لظاهر النص .

ثانيًا : مخالف لإجماع الصحابة وإجماع السلف قاطبة .

ثالثًا : أنه لم يرد في اللغة العربية أن (استوى) بمعنى (استولى) والبيت الذي احتجوا به على ذلك لا يتم به الاستدلال .

رابعًا : أنه يلزم عليه لوازم باطلة منها :

١- أن يكون العرش قبل خلق السماوات والأرض ملكًا لغير الله .

٢- أن كلمة « استولى » تعطي في الغالب أن هناك مغالبة بين الله وبين غيره فاستولى عليه وغلبه .

٣- أنه يصح أن نقول على زعمكم أن الله استوى على الأرض والشجر والجبال والإنسان والبعير ؛ لأنه « استولى » على هذه الأشياء ، فإذا صح أن نطلق كلمة «استولى» على شيء ، صح أن نطلق « استوى » على ذلك الشيء ؛ لأنهما مترادفان على زعمكم .

فبهذه الأوجه يتبين أن تفسيرهم باطل ». اهـ [١] .

عن نِفْطَوَيْهِ قال : « حدثني أبو سليمان داود بن عليّ قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، ما معنى قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] قال : هو على عرشه كما أخبر .

فقال الرجل : ليس كذلك إنما معناه استولى ، فقال : اسكت ما يدريك ما هذا ؟ العرب لا تقول للرجل : استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل: استولى ، والله لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر ثم قال : الاستيلاء بعد المغالبة.

قال النابغة :

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْمَنْ أَنْتَ سَابِقُــــه   سَبْقَ الْـجَوادِ إِذَا اسْتَولَى عَلَى الأَحَد [٢]

*****

(١) شرح الواسطية لابن العثيمين ص (٣١٨ - ٣٢٣) .

(٢) **إسناده صحيح**: رواه اللالكائي (٦٦٦) ، والخطيب في تاريخه (٥/ ٢٨٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٧٩) ، وابن قدامة في العلو (١٠٥) ، وقال الألباني : وهذا إسناد صحيح .

الخاتمة

«نسأل الله حسنها»

قال أبو جعفر : وذلك ما حدثنا أو كُرَيْبٍ حدثنا المُحَارِبي عن إسماعيل بن عياش الحِمْصِيِّ عن ثعلبة بن مسلم الخَثْعَمِيِّ عن أيوب بن بشير العَجْلِيِّ عن شُفَيٍّ ابنِ ماتِعِ الأَصْبَحِيِّ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أربعةٌ يؤذونَ أهلَ النارِ على ما بِهم من الأذَى يسعَونَ بَيْنَ الحميمِ و الجحيمِ ، يَدْعُونَ بالوَيْلِ والثُبُورِ ، يقول أهلُ النارِ: ما بالُ هَؤلاءِ قد آذوْنَا على ما بِنَا من الأذى ؟ فرجلٌ مُغْلَقٌ عليه تابوتٌ من جَمْرٍ ، وَرَجلٌ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ ، ورَجلٌ يَسِيلُ فوهُ قَيْحًا ودَمًا ، وَرَجلٌ يأكلُ لَحْمَهُ فيقالُ لصاحِبِ التابوتِ : ما بالُ الأبعدِ قَدْ آذانا على ما بِنَا من الأذَى ؟! فيقول : إنَّ الأبعَد ماتَ وفي عُنقِهِ أموالُ الناسِ ، ويقالُ لِلَّذي يَجُرُّ أمعاءَه : ما بالُ الأبعدِ قدْ آذانا على ما بِنَا من الأذَى ؟! ـ فذكر كلاما سقط عني ! ويقالُ للذي يسيلُ فوهُ قيحًا ودَمًا : ما بالُ الأبعدِ ، قدْ آذانا على ما بِنَا من الأذَى ؟! فيقول : إنّ الأبعدَ كانَ ينظرُ إلى كلِّ كَلِمَة بِدْعَةٍ قبيحة ، فيستلذُها ، ويقالُ للذي يأكلُ لَحْمَهُ : ما بالُ الأبعدِ قَدْ آذانا على ما بِنَا من الأذَى ؟! فيقول: إنَّ الأبعدَ كان يَمْشِي بالنَميمَةِ ويأكلُ لحومَ الناسِ** » (١) .

---

(١) ضعيف: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (١٨٦ - ٣٢٣) ، والطبراني (٧٢٢٦) ، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٦٧) ، وهناد بن السري في الزهد (١٢١٨) . وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٨١) ، ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني بإسناد ليّن . اهـ . فيه ثعلبة بن مسلم شيخ بن عياش مستور . التقريب (٨٤٦) . وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٢٢ - ١١٣٣ - ١٦٨٤) : ضعيف .

قلت : وفي الصحيح ما فيه غنى عنه : ففي الدين : عن ميمون الكردي عن أبيه قال : قال رسول الله=

التعليق:

النميمة هي : نقلُ الكلام بين الناس على وجه الإفساد .

وقال الجاحظ : « النميمة : وهو أن يبلغ إنسان عن آخر قولاً مكروهًا اسْتُسِرَّ بذلك أو لم يُسْتَسَرَّ »(١) .

الباعث على النميمة :

يَبْعَثُ على النميمة أمورٌ منها :

١ - إرادةُ السُوءِ بالمحكي عنه .

٢ - الحُبُّ لِلْمَحْكِيِّ لَهُ « وهذا في ظاهر الأمر وإلا فإن من يحب إنسانًا على

= ﷺ : « .. وأيما رجل استدان دينًا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعة حتى أخذ ماله، فمات ولم يؤدِّ له دينه لقى الله وهو سارق » .

صحيح : رواه الطبراني في الأوسط (١٨١٥) ، والصغير (١١١) ، وصححه الألباني في الترغيب.

وفي عدم الاستنزاه من البول : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكثر عذاب القبر من البول** » .

صحيح : رواه أحمد (٢/ ٣٢٦) (٨٣١٣) ، وابن ماجه (٣٤٨) ، والحاكم (١/ ٢٩٣) (٦٥٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٢) .

وفي الغيبة والنميمة :

عن ابن عباس قال : أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين يعذبان فقال : « **إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان يمضي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** » .

رواه البخاري (١٣٧٨) ، ومسلم (٢٩٢) .

وفي رواية :

عن أبي بكرة قال رسول الله ﷺ : « ... **وما يعذبان إلا في الغيبة والبول** » .

صحيح لغيره : رواه أحمد (٤/ ١٧٢) (١٧٥٩٥) ، والطبراني في الأوسط (٢٤١٣) وغيرهما . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤١) ، وصحيح الترغيب (١٥١) .

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٣١) بتصرف .

الحقيقة فإنه لا يُبَلِّغُهُ ما يَسْوءُهُ » .

٣- الفرحُ بالخوضِ في الفضولِ .

حكم النميمة :

قال الذهبي : « النميمة من الكبائر وهي حرام بإجماع المسلمين وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة » (١) . اهـ .

كيف تتعامل مع النمام ؟

قال الذهبيُّ :

« من حُمِلَتْ إليه نميمةٌ وقيل لهُ : قال فيك فلانٌ كذا وكذا لزمه ستة أحوال :

الأول : ألا يصدقه لأنه نمام فاسق وهو مردود الخبر .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله .

الثالث : أن يبغضه في الله عز وجل فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب .

الرابع : ألا يظنَّ في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : ﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات:١٢] .

الخامس : ألا يحمله ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ [الحجرات:١٢] .

السادس : ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نَمِيمَتَهُ » (٢) .

---

(١) الكبائر ص(١٦٠) .

(٢) الكبائر ص(١٦١) .

علاج النميمة :

تعالج النميمة بما تعالج به الغيبة وهو إما إجمالي بأن يعلم النمام أنه قد تَعرَّضَ بها لسخط الله تعالى وعقوبته وأنها تحبط حسناته ، وبأن يتدبر المرءُ في عيوبه ويجتهد في التطهر منها وأن يعلم أنَّ تأذي غيره بالغيبة أو بالنميمة كتأذيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به؟ وأما التفصيليُّ فيتلخص في النظر في بواعثها فتقطعها من الأصل، إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها ، وألا يعتقد المرءُ في أخيه سوءًا وأن يبادر إلى التوبة بشروطها [١] .

*****

(١) انظر : موسوعة نضرة النعيم (١١/ ٥٦٦٥ ـ ٥٦٦٧) .

١٢- حدثنا : خَلاَّدُ بن أَسلَم ، عن النضرِ بن شُمَيْلٍ بنِ حَرَشَةَ عن موسى بن عُقْبَةَ عن عُمَرَ بن عبد الله الأنصاري عن أبي الدرداءِ عن رسولِ الله ﷺ :

« مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بما ليسَ فيهِ ليَعِيبَهُ حَبَسَهُ الله به في جَهَنَّمَ حَتَّى يأتي بنفادِ ما قال فيهِ » [(١)].

١٣- حدثنا محمدٌ بنُ عوفٍ الطائيُّ ومحمدُ بنُ مسلمٍ الرازيُّ قالا : حدثنا أبو المغيرةِ عبدُ القدوسِ بنُ الحجاج ، حدثنا صَفْوانُ بنُ عمروٍ قال : حدثني راشدُ بنُ سعدٍ ، وعبد الرحمنِ بنُ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ عن أنس بن مالكٍ قال : قال رسول الله ﷺ :

« لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ من نُحَاسٍ ، يَخْمِشُونَ صُدُورَهُم فقلتُ : مَنْ هَؤُلاءِ يا جِبْرِيلُ ؟! قال : هؤلاءِ الذينَ يأْكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِم » [(٢)].

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه (١٢٨، ٢٠١) بسند صحيح ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٧/ ٢٥٣/ ٤٣٢٦) من طريق ابن جرير سندًا ومتنًا ، ورواه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٦) بسند ضعيف فيه مقدام بن داود وهو ضعيف وبه ضعفه الهيثمي في المجمع، والألباني في ضعيف الترغيب (١٦٥٩، ١٦٩٦) ، وفي غاية المرام (٤٣٧) . وقد صح من حديث عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقولُ : « **مَن قَالَ في مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الخبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ بِمَّا قَالَ** » . قال المنذري في الترغيب (٣/ ٣١٢) ، ردغة الخبال : هي عصارة أهل النار .

صحيح: أبو داود (٣٥٩٧)، والحاكم (٢/ ٣٢) (٢٢٢٢) ، والطبراني (١٢/ ٣٨٨) (١٣٤٣٥)، وفي الأوسط (٦/ ٣٠٩) (٦٤٩١) ، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب .

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (١٣٣٦٤) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، والطبراني في الأوسط (١/ ٧/ ٨) ، وفي مسند الشاميين (٩٣٢) ، والضياء في المختارة (٢٢٨٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٧١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٣) و«الصحيحة» (٥٣٣) . والغيبة هي : « قال ابن حجر : هي ذِكْرُ المرءِ بما يَكْرَهُهُ سَواءٌ كَانَ ذَلِكَ في بَدَنِ الشَّخْصِ أو دِينِهِ أو دُنْيَاهُ أَوْ نَفْسِهِ أو خُلُقِهِ أو مالِهِ » . وقال ابنُ الأثير : الغِيبَةُ أَنْ تَذْكُرَ الإنسان في غَيْبَتِهِ بِسُوءٍ وإنْ كانَ فيهِ . وقال ابن التين : الغِيبَةُ ذِكْرُ المرءِ يَكْرَهُهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ . (فتح الباري ١٠/ ٤٨٤) .

التعليق :

أسباب الغِيبَةُ وبواعثها :

قال الغزاليُّ - رحمه الله تعالى : للغيبةِ أَسْبَابٌ وَبَواعِثُ وفيما يَلي خُلاَصَتُهَا :

١- شَفَاء الْمُغْتَابِ غَيْظَهُ بذكر مَسَاوِئ مَنْ يَغْتَابُهُ .

٢- مُجَامَلَةُ الأَقْرَانِ والرِّفَاقِ ومُشَارَكَتُهُمْ فِيمَا يَخُوضُونَ فيهِ مِنَ الْغَيبةِ .

٣- ظَنُّ الْمُغْتَابِ في غيرهِ ظَنًّا سَيِّئًا مَدْعَاةٌ إلى الْغِيبَةِ .

٤- أَنْ يُبَرِّئَ الْمُغْتَابُ نَفْسَهُ مِنْ شَيءٍ ويَنْسُبَهُ إلى غَيْرِهِ أو يَذْكُرَ غَيْرَهُ بأنه مُشَارِكٌ لَهُ .

٥- رَفْعُ النَّفْسِ وتَزْكِيتُهَا بِتَنَقُّصِ الْغَيْرِ .

٦- حَسَدُ مَنْ يُثْنِي عَلَيْهِ النَّاسُ ويَذْكُرُونَهُ بِخَيْرٍ .

٧- الاسْتِهْزَاءُ والسُّخْرِيَةُ وتَحْقِيرُ الآخَرِينَ .

حكم الغيبة :

قال ابن حجر الهيثمي : « الذي دَلَّتْ عَلَيْهِ الدَّلاَئِلُ الكثيرةُ الصحيحة الظاهرةُ أنها كبيرة »[(١)].

علاج الغيبة :

إنَّ الغيبة مرض خطير وداءٌ فَتَّاكٌ ، وَمِعْوَلٌ هَدَّامٌ ، وسلوك يفرق بين الأحباب وبهتان يُغطي على محاسن الآخرين ، وبِذْرَةٌ تنبتُ شرورًا بين المجتمعِ المسلم وتَقْلِبُ موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور وعلاجُ هذا

(١) الزواجر ص (٣٧١) .

المرضِ : لا يكون إلا بالعلم والعمل ، فإذا عرف المغتاب أنه تَعَرَّضَ لِسُخطِ الله يوم القيامةِ بإحباطِ عَمَلِهِ وإعطاءِ حسناتِهِ من يغتابُهُ أو يحمل عنه أوزاره ، وأنه يتعرض لهجوم من يغتابه في الدنيا وقد يسلطه الله عليه إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وُفِّقَ للعلاج.

وهناك غيبة مباحة انظرها في رياض الصالحين (٤٥٠، ٤٥١) والزواجر لابن حجر (٣٨٣، ٣٨٤) .

******

١٤ - حدثني عَليُّ بنُ سهل الرمليُّ ، حدثنا الوليدُ بنُ مسلم عن عثمانَ بن أبي العاتِكَةِ ، عن أبي أمامةَ ﷺ قالَ : أَتَى رسول الله ﷺ بَقِيعَ الغرقدِ فَوَقَفَ على قبرين ثَرِيَيْنِ [(١)] فقال :

« أَدَفَنْتُمْ هنا فُلانًا وفُلاَنَة ؟» أو قال : «وفُلانًا»؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله . فقالَ : «قَدْ أُقْعِدَ فلانٌ الآنَ يُضْرَبُ ثم قال : والذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً ما بَقَى مِنْهُ عُضْوٌ إلا انْقَطَعَ ولَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا ، ولَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَتْهَا الخلائقُ إلا الثقَلَيْنِ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ ، ولولا تَمْرِيجُ [(٢)] قُلوبِكُم وتَزَيُّدُكُم في الحَدِيثِ لسَمِعْتُمْ ما أَسْمَعُ ».

ثم قالَ : «الآنَ يُضْرَبُ هذَا ، الآنَ يُضْرَبُ هذَا ، والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ ضُرِبَ ضَرْبَةً ، ما بَقِيَ مِنْهُ عَظْمٌ إلا انْقَطَعَ وَلَقَدْ تَطَايَرَ قَبْرُهُ نَارًا ، ولَقَدْ صَرَخَ صَرْخَةً سَمِعَتْهَا الخلائقُ إلا الثقَلَيْنِ مِنَ الجنِّ والإنْسِ ولولا تَمْرِيجُ قُلوبِكُم وتَزَيُّدُكُم في الحَدِيثِ لسَمِعْتُمْ ما أَسْمَعُ » قالوا : يا رسولَ الله ما ذَنْبُهُمَا ؟ قالَ : «أَمَّا فلانٌ ، فإنَّه كان لا يَسْتَبْرِئُ مِنْ البَوْلِ ، وأما فلانٌ أو فلانَةٌ فإنَّه كانَ يَأْكُلُ لُحُومَ الناسِ » [(٣)].

---

(١) ثريين : طين وهي مثنى ثرى : رطب ، كناية عن حداثة الدفن فيهما وفي الحديث : يأكل الثرى من العطش) أي التراب الرطب اللسان (١٤/ ١١١) .

(٢) التمريج : التخليط والاضطراب والفساد أي : لولا تخليط قلوبكم واضطرابها وفسادها ، النهاية (٤/ ٣١٤) ، واللسان (٢/ ٣٦٥،٣٦٤) .

(٣) **ضعيف** : رواه أحمد (٥/ ٢٦٦) (٢٢٣٤٦) . وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٢٠٨) : « أخرجه أحمد وفيه على بن يزيد بن على الألهاني عن القاسم وكلاهما ضعيف » وقال الألباني في ضعيف الترغيب (١٦٩٣) : ضعيف . ويغني عنه : عن أبي هريرة قال : كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه ، فجعل لونه يتغير حتى رعدكم قميصه فقلنا : مالك يا رسول الله ؟ فقال : « **أفلا تسمعون ما أسمع** ؟ » قلنا : وما ذاك يا نبي الله ؟ قال :« **هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابًا**=

١٥ - حدثنا محمد بنُ يزيد الرِّفَاعِيُّ، حدثنا ابنُ فُضَيْلٍ، (ح)، وحدثنا محمد بنُ العلاءِ، حدثنا أسودُ بنُ عامرٍ، حدثنا أبو بكرِ بنُ عياشٍ جميعًا عن الأعمشِ عن سعيدِ بنِ عبدِ الله عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:

« يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا المسلمينَ ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهم، فإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِهِم تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ » (١).

آخر الكتاب والحمد لله وحده.

*****

= **شديدًا في ذنب هين »** قلنا: فيما ذلك؟ قال: « **كان أحدهما لا يستنزه من البول** ... الحديث ».

صحيح: رواه ابن حبان (٨٢٤)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن (١٢٠)، والحديث الذي ذكرته منذ قليل في الشرح الذي رواه أحمد (٤/ ١٧٢) وغيره « **وما يعذبان إلا في الغيبة والبول** » حديث صحيح.

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٩٧٩١، ١٩٨١٦)، وأبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلي في مسنده (٧٤٢٣)، والروياني (١٣١٢)، والبيهقي (٢٠٩٥٣)، وفي شعب الإيمان (٦٧٠٤)، وأبو الشيخ في التوبيخ (٨٩)، وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨)، واللالكائي (١٤٩٧، ١٤٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٤)، وقال في صحيح الترغيب (٢٣٤٠): « حسن صحيح ».

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

من إصدارات دار الدعوة الإسلامية

للطبع والنشر والتوزيع

- (اركب معنا) د/ محمد العريفي
- (إنها ملكة) د/ محمد العريفي
- (القابضات على الجمر) د/ محمد العريفي
- (ألحان وأشجان) د/ محمد العريفي
- (رسالتان في الزكاة) ؛ لأصحاب الفضيلة : (ابن عثيمين وابن باز)
- (التحف في مذاهب السلف) للشوكاني
- (رسالة الاستغفار) لشيخ الإسلام / تحقيق / أحمد جلال
- (رسالة إلى كل طبيب مسلم) تأليف / أحمد جلال
- (متن عمدة الأحكام) لعبد الغني المقدسي
- (متون التجويد) تحفة الأطفال- الجزرية- منظومة المفيد
- (متن الأربعين النووية) للإمام النووي
- (القول المفيد في أحكام الصيام والاعتكاف وزكاة الفطر والعيد)

  تأليف د/ أحمد النقيب
- (ربانيون لا رمضانيون) د/ محمد العريفي
- (تمام الوفا في الذب عن المصطفى) لأبي قتادة الدرعمي
- (التبيان فيما جد من أمر الجانّ والرد على من خالف صحيح السنة وصريح القرءان)

  تأليف/ أبو عمر فوزي الأثري الإبشاني